

كليوباترة

ملكة مصرية
أم عاهرة إفريقية

CLEOPATRA

مايكل جرانت



سلسلة «أعلام ومشاهير»
باشراف الدكتور رءوف سلامة موسى
بدار ومطابع المستقبل

وجه الغلاف : انتحار كليوبطرة لكاجناتشي
ظهر الغلاف : لقاء أنطوني وكليوبطرة لتبولو

كليوباترة

ملكة مصرية

أم عاهرة إغريقية ؟

عن دراسات

مايكل جرانت

واللورد مهن القدماء

دارومطابع المستقبل

بالفجالة والاسكندرية

مؤسسة المعارف للطباعة

والنشر ببيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٨٤

قواد الأسكندر يتقاسمون امبراطوريته

ولدت كليوپطرة Cleopatra * فى نهاية عام ٧٠ ، أو بداية عام ٦٩ قبل الميلاد . وكانت من سلالة أغريقية خالصة ، أو تكاد أن تكون خالصة . فأن أجدادها من الملوك البطالمة Ptolemies الذين حكموا مصر زهاء ثلاثة قرون ، لم يكونوا يختلطون بالمصريين . وقد قصروا مصاهراتهم الخارجية على أبناء عموماتهم من الاغريق السليوكيين ، الذين حكموا سوريا . كما فعل بطليموس الخامس الملقب بابييفانس (صورة الرب) . وقليل منهم من خرج على هذه القاعدة . مثل بطليموس الثانى عشر ، والد كليوپطرة ، الذى كان نتاج علاقة غير شرعية بين أبيه بطليموس التاسع سوتر الثانى (المخلص) الملقب بلاتيرس (حبة الباسلاء) واحدى جاريات قصره .

وقد جاءت كليوپطرة سمراء اللون ، فاحمة الشعر ، واحتفظ أنفها بالتقوس البطلمي الواضح الذى اشتهرت به أسرتها . ويلاحظ أن بطالمة مصر كانوا يتراوحون كثيراً فى لون بشرتهم . فان بطليموس السابع

* هذا هو النطق الصحيح لأسمها ، وليس كما يغنيها المطرب محمد عبد الوهاب فهى كلبو وليست كيليو ، وهى بطرة وليست باترة ! .

ثيوس (الرب) فيلوباتر (المحب لأبيه) كان أشقراً .

ولكن عندما كتب روبرت جرين Green عن كليوبطرة ، بعد حياتها بستة عشر قرناً ، تصورها سوداء خالصة . وفى بعض أقطار أفريقيا ، لا يزالون يصورونها زنجية سوداء . وأما شكسبير* Shakespeare فقد تصورها حين كتب مسرحيته عنها ، فى القرن السابع عشر «عجربة» . والحقيقة أن كليوبطرة كانت سمراء اللون فقط . ولم تكن سوداء ، أو زنجية ، أو عجربة .

وكان والد كليوبطرة ، بطليموس الثانى عشر ثيوس فيلوباتر فيلوديلفوس (المحب لأخته) دايونيساس (الآله الاغريقى) قد تزوج ، على شاكلة المصريين القدماء ، من أخته : كليوبطرة الخامسة ترفينا . وأرتقيا معاً العرش البطلمي فى عام ٨٠ ق م . وكان مواطنو الاسكندرية من الأغريق (إذ لم يكن المصري فى الاسكندرية مواطناً) سليطو اللسان . وقد أطلقوا عليه أسم ناثوس (ابن الحرام) وأوليتس (أى لاعب الأوبو أو المزمار) .

ويلاحظ أن بطليموس أوليتس (كما سنطلق عليه) كان محباً للموسيقى ، وبارعاً فى العزف على الأوبو أو المزمار . وربما كان بحياته الخاصة شذوذاً ! . ولم يكن فى هذا خروج على القاعدة التى أستنتها أجداده من البطالة ! . إذ كان يهوى ، مثلهم ، اقامة الحفلات الموسيقية

*

أنظر كتابنا « شكسبير » فى هذه السلسلة .

الماجنة ، التى يلبس خلالها الرجال ملابس النساء ، والعكس ا . ويأتون بحركات وأعمال خليعة وفاضحة ا .

ويقال أن الفيلسوف الاغريقي ديمتريوس Demetrius قد رفض ، عند زيارته لبلاط بطليموس أوليتس ، أن يشترك فى حفلاته . ولكن بطليموس أوليتس أجبره على ذلك ا .

وقد أنجبت كليوپطرة الخامسة تريفينا ، لبطليموس أوليتس ، ابنة كبرى هى كليوپطرة السادسة تريفينا . ثم بيرنيس الرابعة . ثم كليوپطرة السابعة (التي نتناول سيرتها فى هذا الكتاب) . ثم أختفت الأم ، كليوپطرة الخامسة تريفينا ، من الحياة العامة فى مصر منذ عام ٨٦ ق م . فلم نعد نسمع عنها شيئاً . بل لم نعد نسمع شيئاً عن تلالها من زوجات أو خليات ، اختارهن بطليموس أوليتس لالحجاب : أبنته أرسينوه فى عام ٦٥ ق م ، ثم ولديه بطليموس الثالث عشر وبطليموس الرابع عشر فى عامي ٦١ و ٥٩ ق م .

ويلاحظ أن الجغرافي الاغريقي سترابو Strabo قد أكد فى بعض كتاباته ، أن الابنة الشرعية الوحيدة لبطليموس أوليتس من شقيقته وزوجته كليوپطرة الخامسة تريفينا ، هى ابنته الكبرى كليوپطرة السادسة . فاذا كان هذ صحيحاً ، فان بقية أبنائه الخمسة يكونون قد ولدوا من زوجاته أو خلياته التاليات .

فتح الأسكندر الأكبر* مصر فى عام ٣٣٢ ق م . وقد توج نفسه
فرعوناً، على غرار الملوك المصريين ، فى معبد فتاح . وأقام حفلاً رياضياً
وموسيقياً كبيراً ، على غرار الاغريق ، فى العاصمة المصرية القديمة
منف . ثم وضع أساس مدينة الأسكندرية . وحج إلى معبد آمون فى سيوة .
ثم ترك مصر فى ربيع عام ٣٣١ ق م ، لمواصلة فتوحاته الآسيوية . وقد
هزم الفرس فى معركة جوجمىلا . وتوغل فى الإمبراطورية الفارسية حتى
الهند ، مرسياً مكانها أركان إمبراطوريته . وتوفي فى طريق عودته من
الهند فى عام ٣٢٣ ق م .

وقد أجمع قواد الأسكندر الأكبر بعد وفاته ، فى بابل . وأتفقوا على
أن يتولى أخوه غير الشقيق ، فيليب ارهيداؤوس ، الحكم من بعده . وقد
فعل هذا بالأسم فقط . وأصبح قائده كراتروس وصياً على العرش .
وأنيطت حماية العهد الجديد بقائد آخر هو برديكاس .

وكان بطليموس أحد قادة الأسكندر الأكبر . وكان صديقه ومؤرخه .
وقد انحدر من عائلة بسيطة كانت تعيش فى لاجوس باليونان . ولكن
أمه ، أرسينوه ، كانت ابنة عم لوالد الأسكندر : الملك فيليب الثانى
المقدونى . وربما كانت فى وقت ما إحدى عشيقاته . ويلاحظ أن بطليموس
كان قد حمل جثة الأسكندر الأكبر إلى مصر . فدفنها فى منف ، التى
أخذ منها عاصمة مؤقتة يحكم منها البلاد . ثم أخذ يستقل بمصر . وقد

*

أنظر كتابنا « الأسكندر الأكبر » فى هذه السلسلة .

بنى للأسكندر الأكبر ضريحاً كبيراً فى الأسكندرية . التى كان قد ازمع أن يتخذها عاصمة لمملكته . وربما نقل جثته إلى هذا الضريح بعد انتقاله إليها

وقد حاول برديكاس أن يعيد توحيد امبراطورية الأسكندر . وهاجم مصر بجيش كبير فى عام ٣٢١ ق م . ولكن بطليموس هزمه على أبوابها . وأعلن نفسه ، فى عام ٣٠٤ ق م ، ملكاً على مصر بأسم بطليموس الأول سوتر (المخلص) ونقل عاصمة مملكته من منف إلى الأسكندرية

ثم حاول قائد آخر للأسكندر ، هو انتيجونس أن يعيد محاولة برديكاس فى توحيد امبراطورية الأسكندر الأكبر . ولكن بطليموس هزمه هو الآخر فى معركة أبسوس عام ٣٠١ ق م

وأنتهى الأمر إلى انقسام امبراطورية الأسكندر الأكبر الغربية إلى ثلاثة ممالك كبرى : واحدة فى مصر ، والأخرى فى سوريا واليونان

ويلاحظ أن واحدة من هذه الممالك الأغريقية الثلاث لم تؤلف «امبراطورية عالمية» على غرار الأمبراطورية التى بناها الأسكندر الأكبر وإنما كانت كلها «ممالك اغريقية محلية» تقوم على المواطنين الأغريق وتحفظ بالمدنية ، واللغة والعادات ، الاغريقية حتى وإن أستعارت شيئاً من المزايا والعادات المصرية أو السورية أو الفارسية أو اليهودية ، الممتدة جذورها فى المواطن التى قامت فيها

وكانت أعداد كبيرة من الأغريق ، قد وفدت على مصر عقب فتح

الأسكندر الأكبر لها . وقد تركزت فى أربعة مدن «اغريقية» رئيسية .
 هى نوقراطيس عند المصب الغربى للنيل (رشيد الحالية) . ويسوى عند
 المنشأة الحالية بالصعيد . وبارياتونيم عند السلوم الحالية . والأسكندرية .
 وإلى جانب هذه المدن الأغريقية الأربعة ، أصبح الاغريق هم الطبقة
 العليا والحاكمة فى مصر ، التى تختص بشئونهم محاكم خاصة . ولا
 يوقع على المذنبين منهم «العقوبات البدنية» التى توقع على أبناء
 الطبقات الأخرى ، وقد عمل المستوطنون الاغريق بالتجارة ، من دون
 الفلاحة . ولم يكن يسمح لهم بالزواج من أبناء الطبقات الأخرى فى
 البلاد .

وقد قام فى كل مدينة اغريقية من المدن الأربعة التى ذكرناها
 «مجلس خاص» يساهم مواطنوها الاغريق عن طريقه فى تسيير شئون
 المدينة . ولم تكن الطبقات الأخرى فى هذه المدن تمثل فى هذه المجالس .
 وقد ألف أهم هذه الطبقات الأخرى بالاسكندرية اليهود ، الذين كان
 عددهم يصل إلى حوالى ثلث عدد سكانها ، ثم المصريين ، ثم العبيد .
 وكان المصريون يؤلفون أكثر عبيد الأسكندرية ، ويؤلف السوريون
 والأفريقيون أكثر العبيد فى أنحاء مصر .

ونحن إذ نؤكد على هذه النقاط ، نرى أن الغزو الاغريقى لمصر لم
 يكن «استعماراً» ، بقدر ما كان «استيطاناً» . وأن مملكة البطالمة فى
 مصر كانت بالتالى إغريقية أو بطلمية ، ولم تكن مصرية . وأن
 ملوكها كانوا ملوكاً أجنبياً من الاغريق ، أو اليونانيين ، أو البطالمة .

ولم يكونوا من المصريين .

وكان بطليموس الأول سوتر (٣٠٥ / ٢٨٢ ق م) قد جعل عبادة الأسكندر الأكبر ديناً رسمياً فى مصر . وقد أختار له كاهناً اغريقياً أعظم . وحاول أن يوجد شيئاً من التلاقى والمراصلة ، بين الديانتين المصرية والأغريقية ، فاختار ثالثاً من الآلهة المصرية القديمة هى أوزيريس ، ايزيس / هاتور ، وهاربوكراتيس / حوراس . وقد أضاف إلى هذا الثالث آلهة رابعاً هو سارابيس . جعل صورته مقابلة لصورة الآلهة الاغريقي الأكبر تزيوس . ثم جعل دايونيساس / باخوس ، رب الخمر واللهو عند الاغريق والرومان ، مقابلاً للآلهة المصري أوزيريس .

وقد أقام بطليموس الأول سوتر لهذا الخليط من آلهة مصر واليونان والرومان ، معبداً واحداً كبيراً فى «السرابيوم» راكودة (الآن كرموز بالاسكندرية) . جعله المعبد الرسمي فى البلاد .

وعلاوة على إرساء قواعد مملكته فى مصر ، أستطاع بطليموس الأول أن يد حكمه إلى برقة . وأن يهاجم أربع مرات متواليات جنوب سوريا ، حيث قامت مملكة أغريقية أخرى هى مملكة السلبيوكيين . وقد أستولى منها على مواقع كثيرة . وأخضع جزيرة قبرص . وفتح أنحاء كثيرة على شواطئ آسيا الصغرى وجزر البيلوبونيز . وتزعم عصبة بحرايجد .

وقد خلفه فى حكم مصر ، بطليموس الثانى فيلادلفوس ، بين الأعوام ٢٨٢ و ٢٤٦ ق م . وقد جعل بطليموس الثانى والده آلهة

مصرياً . وبنى له ، ولوالدته بيرنيس الأولى ، وللأسكندر الأكبر ، معبداً خاصاً بالأسكندرية . وقد بدأ بطليموس الثاني يحمل ، فى حياته ، ولأول مرة ، ألقاب الفراعنة . ونجح فى تحسين علاقاته بكهنة منف . ولكن علاقات البطالمة بكهنة آمون ظلت على الدوام سيئة .

ويقال أن بطليموس الثاني كان عالماً فى الجغرافيا وعلم الحيوان . وقدم تم فى عهده بناء فئار الاسكندرية ، ومتحفها ، ومكتبتها . وأقيمت فى المدينة بنايات وحدائق وناقورات كثيرة ، حتى أصبحت أعظم مدن العالم القديم بغير منازع .

وكان اهتمام بطليموس الثاني بأمور البحر كبير جداً . فقد بنى سفناً كثيرة فى الاسكندرية ، التى أشتهرت زمن البطالمة ببناء السفن من الأخشاب التى كانت تستقدمها لهذا الغرض من غابات لبنان وآسيا الصغرى . وأرسل حملات متعددة إلى اليونان . وأستولى على جزيرة كريت . وكان أول من حاول أن يحسن علاقات البطالمة بالرومان . وقد أرسل فى عام ٢٧٣ ق م بعثة سياسة إلى روما ، عقدت معها اتفاقات سياسية وتجارية .

وقد حافظ بطليموس الثالث أيورجينيس (المصلح) الذى تولى الحكم بين الأعوام ٢٤٦ و ٢٢١ ق م ، على سياسة سلفيه ، فى مد نفوذ البطالمة فى شرقى البحر الأبيض المتوسط . حتى لقب بفاتح العالم . وبلغت امبراطورية البطالمة فى عهده أقصى اتساعها ، وتخطت جيوشها نهري دجلة والفرات . وكادت تصل إلى حدود الهند . وعندما توفي ملك

السليوكيين ، أنتيوخوس الثاني ، فرمن بطليموس الثالث ارادته على
مملكته . وجعل ابن شقيقته برنيكى (التي كانت قد تزوجت انتيوخوس
الثاني) ملكاً على السليوكيين، بدلاً من أبناء زوجته الأولى.

التدخل الروماني فى شئون البطالمة

أذن تولي بطليموس الرابع فيلوباتر العرش فى عام ٢٢١ ق م ،
 بنهاية العصر الذهبي للبطالمة الأغريق فى مصر . فقد أطلق بطليموس
 الرابع العنان لشهوته . وعكس خطة أسلافه الثلاثة الأوائل فى ترك
 المصريين أحراراً فى عباداتهم . وأراد أن يقصرهم جميعاً ، بما فيهم يهود
 الأسكندرية ، على عبادة الآله دايونيساس . مما أدى إلى قيام اضطرابات
 كثيرة فى أنحاء البلاد .

وشجعت هذه الأحوال الملك أنتيوخوس الثالث ، ملك السلوقيين
 السوريين . فعمل على طرد بطالمة مصر من مستعمراتهم السورية . ولكن
 بطليموس الرابع أخذ يفيق بعد ذلك من غفوته . ولجأ إلى استخدام
 المصريين جنوداً فى جيشه . ونجح بهم فى الانتصار على أنتيوخوس فى
 معركة رفع عام ٢١٧ ق م . ولكن هذا الانتصار لم يعد سوريا بعد ذلك
 إلى حظيرة العرش البطلمي . وأضطر بطليموس الرابع إلى أن يترك
 أكثرها لأنتيوخوس ، حين تحالف هذا ضده ، مع فيليب الخامس المقدوني .
 كذلك أضطر أنتيوخوس ، بطليموس الرابع ، إلى أن يترك ممتلكاته فى
 بحر إيجه لفيليب المقدوني أو إلى الرومان .

وقد زاد من خسارة بطليموس الرابع ، أن محاولاته التقرب من الرومانيين ، قد شجعتهم على فرض ارادتهم عليه . وأن الجنود المصريين ، الذين أثبتوا نجاحاتهم في رفع ، قد أحسوا بقوة السلاح بين أيديهم ، فلما عادوا إلى مصر ، حولوا الاضطرابات المتقطعة فيها إلى ثورات مسلحة . وقد أنتشرت هذه الثورات في أنحاء مصر منذ عام ٢١٦ ق م . وأستمرت مشتتة فيها حتى عام ١٨٣ ق م .

وقد أعقب بطليموس الرابع على العرش البطلمي منذ عام ٢٠٥ ق م بطليموس الخامس ايبفانس . وقد توج في منف بطقوس مصرية خالصة . وكان صغيراً . فأرسل السينات الروماني في عام ٢٠٠ ق م وصياً عليه . وكانت روما قد أنتصرت في عام ٢٠٢ ق م على قرطجنة ، وأنفردت بالسلطة في غربي البحر الأبيض المتوسط . وأخذت تمد نفوذها إلى شرقيه . وقد أشتبكت قواتها في عام ١٩٧ ق م مع قوات فيليب الخامس المقدوني ، وفي عام ١٨٩ ق م مع قوات أنتيوخوس الرابع السوري ، وهزمتها شر هزيمة .

وقد تولى بطليموس السادس فيلوميتور (المحب لأمه) عرش البطالمة في عام ١٨١ ق م . وشهد عهده استفحال الخلافات بين أعضاء الأسرة الحاكمة البطلمية . مما أعطى لروما مبررات جديدة للتدخل في شئون مصر . وأطمع السليوكيون السوريون فيها . فاستولى أنتيوخوس الرابع على قبرص . وهاجم حدود مصر مرتين . وبلغ بجيوشه في المرة الأخيرة أبواب الأسكندرية . ولكن الجيوش الرومانية هبت لملاقاته . وهزمته في

عام ١٦٨ ق م . وأعاد جيوشه إلى بلادها ، وأجبرته على الجلاء عن جزيرة قبرص .

وطبيعي أن يدفع بطليموس السادس بعد ذلك ثمن انقاذ القواد الرومانيين لمملكته . وكانت الخلافات بينه وبين أخيه الأصغر ، بطليموس السابع نيوس (الجديد) فيلوباتر قد زادت . وقد أخذ فيها اغريق الأسكندرية دوراً فعالاً . وأخذ المصريون دوراً آخر . وقام الأخيرون خلال عامى ١٦٥ و ١٦٤ ق م بشورة كبرى وعنيفة .

وقد أستمع حكم بطليموس السادس حتى عام ١٤٥ ق م . وتبعه بطليموس السابع نيوس فيلوباتر ، بين عامى ١٤٥ و ١٤٤ ق م . ثم بطليموس الثامن ايورجينيس الثاني حتى عام ١١٦ ق م . وفى عهد هذا الملك الأخير ، عين مصري لأول مرة حاكماً على الصعيد .

وكان بطليموس الثامن ضخم الجثة ، بالغ السمنة . وكان يحب الظهور بالملابس الفضفاضة والشفافة ، التى تفضح من ورائها ترهل جسمه . وقد لقبه اغريق الأسكندرية بأسم «فيسكون» سخريه به .

وقد قام بين فيسكون وبين زوجته ، كليوپطرة الثالثة ، خلافات حادة وعننية . أبد فيها الأغريق السكندريون كليوپطرة الثالثة ضد زوجها: بطليموس فيسكون . ومال فيها المصريون إلى هذا الأخير . وقد حاول فيسكون أن يعتمد على الرومانيين ، ولكنه فقد خلال محاولاته هذه كامل استقلاله . وتحولت زيارات الساسة والقادة الرومانيين ، الذين تكررت زياراتهم لمصر فى عهده ، إلى تدخل سافر فى حكم البلاد .

الأسرة البطلمية

بطلميس ١ = بيرنيس ١
(٣٠٥ / ٢٨٢ م)

(٣٠٥ / ٣٠ م)

||

بطلميس ٢ فيلادلفوس = أرسينوه ٢
(٢٨٢ / ٢٤٦ م)

||

بطلميس ٣ أيروديميتر = بيرنيس ٢
(٢٤٦ / ٢٢١ م)

||

بطلميس ٤ فيلوباتر = أرسينوه ٣
(٢٢١ / ٢٠٥ م)

||

بطلميس ٥ إيفيانيس = كليوطرة ١
(٢٠٥ / ١٨١ م)

||

بطلميس ٦ فيلوميتير = كليوطرة ٢ (١٨١ / ١٤٥ م)
بطلميس ٨ أيروديميتر = كليوطرة ٣ (١٤٥ / ١١٦ م)

|

||

بطلميس ٧ نيوس فيلوباتر (١٤٥ / ١٤٤ م)
بطلميس ٩ أيبوت (١٤٥ / ١١٦ م)

||

بطلميس ٩ سوتر ٢ لانيروس (١١٦ / ١٠٧ م)
بطلميس ١٠ ألكسندر ١ (١٠٧ / ٨٨ م)
بطلميس ٨ (٨٨ م)

||

||

||

كليوطرة ٥ = بطلميس ١٢ نيوس (٨٠ / ٥٨ م) تريفيثا
كليوطرة ٦ = بطلميس ١٢ نيوس (٨٠ / ٥٨ م) تريفيثا
كليوطرة ٧ = بطلميس ١٢ نيوس (٨٠ / ٥٨ م) تريفيثا

وقد أورث بطليموس الثامن فيسكون ، برقة لابنه غير الشرعي ، بطليموس أبيون . فتنازل هذا عنها بعد وفاته للرومانيين ، الذين أحتلوها منذ عام ٩٦ ق م . وأنقطعت صلة البطالة بها منذ هذا التاريخ .

وأعقب بطليموس الثامن فيسكون ، بين الأعوام ١١٦ و ١٠٧ ق م . بطليموس التاسع سوتر الثاني . ولكن بطليموس التاسع أضطر لترك العرش فى عام ١٠٧ ق م لأخيه بطليموس العاشر الكسندر الأول ، بعد أن انحازت روما للأخير . وقيل أن بطليموس العاشر الكسندر الأول ، قد كافأ روما على تأييدها له ، بتنازله لها عن مملكته بعد وفاته . ولكن روما لم تعمل بوصيته ، ولم تحتل مصر عند وفاته . وأعادت للعرش ، حتى عام ٨١ ق م ، بطليموس التاسع سوتر الثاني .

وفى هذه الفترة الأخيرة من حكم بطليموس التاسع ، أصبح التدخل الرومانى فى شئون البطالة واضحاً وسافراً . حتى اذا ما توفي بطليموس التاسع ، اختارت روما للعرش ابن أخيه: بطليموس الحادى عشر الكسندر الثانى . وجدير بالذكر أن السياسى الرومانى سولا Sulla قد أرغم الملك الجديد على الزواج بزوجة أبيه وأبنة عمه : كليوپطرة الرابعة بيرنيس . ولكن بطليموس الحادى عشر لم يطق زوجته الا أياماً ، ثم قتلها .

وهنا أستخدم الأغريق السكندريون «حقوقهم المقدونية» فى مجازاة هذا الملك القاتل ، الذى لم يكونوا راضين عن اختياره ، فقتلوه . وولوا عليهم فى عام ٨٠ ق م ، بطليموس الثانى عشر نيوس داىو نيساس . الذى أطلق عليه أسم ناثوس ، وأوليتس ، على ما سبق أن ذكرنا .

الرومانيون يساندون بطليموس أوليتس

كان تاريخ مصر الحضارى يزيد ، حين حكمها البطالمة . من الأسكندرية ، على ثلاثة آلاف سنة . ومع هذا ، لم يكن للمصريين فى شئون هذا الحكم ثمة رأى . وكان الأمر يرجع أولاً وأخيراً إلى الحاكم البطلمي . وإلى جانبه أحياناً المستوطنون الأغريق ، الذين يشاركونه الرأي عن طريق مجالسهم الأربعة ، فى المدن الأغريقية التى حددناها . ولكن الأمور أخذت تنتقل ، منذ ولاية بطليموس الخامس إبيفانس ، إلى أيدي الرومانيين . وشهدت كليوπτرة السابعة (التي نترجم لها) منذ طفولتها ، محاولات روما السافرة ، والمتزايدة ، للتدخل فى شئون مصر ، تدهور وتقوض نفوذ وأطراف المملكة البطلمية . وشاهدت بعينها القائدين الرومانيين كرسوس ويوليوس سيزار Julius Caesar يقضيان على مملكة السلوكيين فى سوريا . وبومبى Pompei يصفى الدولة اليهودية فى فلسطين .

وكانت عواطف الأغريق فى مصر تعارض كل تحالف مع روما . ويهود الأسكندرية يؤججون الثورة ضد الرومانيين . وقيل أن اعتداد الأغريق السكندريين بأنفسهم ، وكبرياؤهم المعروف ، قد حجب عن عيونهم واقع

الأمر فلم يعودوا يرون اعتمادهم الكامل والمتزايد ، فى استمرار حكمهم لمصر ، على الرومانيين .

وأما بطليموس أوليتس ، فقد فطن إلى هذه الحقيقة منذ بداية حياته . وتفتحت عيناه ابنته كليوپطرة على محاولاته الدائبة ، فى تثبيت علاقاته بالرومانيين . وتوطيد أواصر صداقته بهم . وقيل أن كليوپطرة قد وعث هذه الحقيقة تمام الوعى . وأن أساليبها فى المداينة ، والخداع ، والعناد ، والقسوة ، فى سبيل تحقيق أغراضها ، قد فاقت أساليب والدها . وأنها قد حاولت أن تضيف إلى واقعيتها المجردة ، أحلامها الخيالية الراسعة : فى إقامة تحالف ثابت الأركان بينها وبين الرومانيين . لأقامة امبراطورية واسعة ، تعادل بل وتفوق ، امبراطورية الأسكندر الأكبر القديمة .

وكانت الاضطرابات قد قامت فى أنحاء مصر بين الأعوام ٧٩ و ٧٨ ثم ٦٤ و ٦٣ ق م . فى الوقت الذى زاد فيه ضغط الساسة والقواد الرومانيين على حلفائهم من البطالمة وغيرهم ، لجمع الأموال والأمتيازات منها . أوضم هذه الدول صراحة إلى الأمبراطورية الرومانية .

وفى عام ٥٩ ق م ، وجد بطليموس أوليتس نفسه مضطراً إلى الذهاب مع ابنته كليوپطرة ، إلى روما . وقد حاول أن يسترضى ساستها وقادتها بالهدايا والرشاوى . وأنتهى معهم إلى وجوب أن يدفع لهم مبلغاً نقدياً باهظاً ، مقداره ٦٠٠٠ تالنتس . وقد قدر هذا المبلغ بحوالى نصف دخل مصر السنوي فى ذلك الوقت .

ولما لم يكن بطليموس أوليتس ، قد حمل معه في زيارته هذا المبلغ الكبير ، فقد اضطر إلى اقتراضه من أحد المرايين الرومانيين . وهو جاسيوس بوستيوموس Postumus . على أن يرده له مع فوائده على أقساط بعد عودته إلى مصر . وقد تسلم يوليوس سيزار ويومبيي هذا المبلغ الكبير من بطليموس أوليتس . ثم أعلن أنه قد أصبح «صديقاً وحليفاً» للشعب الروماني .

ويلاحظ أن روما كانت قد فرضت مبلغاً كبيراً آخراً على بطليموس قبرص . وكان شقيقاً لبطليموس أوليتس . وكان السبب في هذا هو رغبة ساسة روما في ممالئة أبناء مدينتهم «بتوزيع القمح عليهم بالمجان» . فلما لم يدفع بطليموس قبرص لهم شيئاً ، اتهمه هؤلاء الساسة «بمساعدة قراصنة البحر الأبيض المتوسط» . ثم أعلنت روما ضم الجزيرة إليها ، بدعوى أن بطليموس العاشر الكسندر الأول كان ، على ما ذكرنا ، قد أوصى لهم بها .

وقد ذهب السياسي الروماني الأشهر : ساتو Cato إلى جزيرة قبرص لتنفيذ أمر روما . وعرض على ملكها أن يترك عرشه ، وأن يصبح كاهناً أعظم لمعبد أفروديت في إيفوسييس . ولكن بطليموس قبرص رفض هذا العرض . وقتل نفسه . وقد خلف وراءه ثروة كبيرة قدرها المؤرخون بحوالى ٧٠٠٠ تالنتس ، بالإضافة إلى النفائس الكثيرة الأخرى .

وقد حمل كاتو السفن التي جاء بها بثورة بطليموس قبرص ، وعاد بها ، قريبر العين إلى روما .

وأما بطليموس أوليتس ، فقد بادر عند عودته إلى الاسكندرية ،
بأعلان العفو العام عن المسجونين والعصاة . ثم أنتظر أياماً ، وأعلن عن
فرض ضرائبه الجديدة ، التى يستطيع أن يسدد بها دينه الباهظ
لبوستيوموس . ولكن الاضطرابات أنفجرت فى كل مكان . وأتهمه إغريق
الأسكندرية بالخضوع للرومانيين . وبالتقاء عن نصره شقيقه ،
بطليموس صقلية .

وقد بلغت هذه الاضطرابات ذروتها فى عام ٥٨ ق م . وأنتهت بطرد
إغريق الأسكندرية من مدينتهم لبطليموس أوليتس . فذهب مع ابنته
كليوپطرة إلى روما ، كى يستنجد بقواتها ضد شعبه الثائر عليه . وفى
هذه الأثناء ولى أغريق الاسكندرية عليهم فى مكانه ابنته الكبرى :
كليوپطرة السادسة ترفينا . ثم أضافوا إليها بعد ذلك شقيقتها بيريس
الرابعة .

وقد نزل بطليموس أوليتس وابنته كليوپطرة ، عند وصولهما إلى
روما ، فى ضيافة بومبيي ، فى قصره العظيم إلى جوار العاصمة .
وذهب بوستيوموس إلى بطليموس أوليتس فى قصر بومبيي ، وطالبه
بأمواله . ولكن بطليموس أوليتس أفهمه أن عليه أن يساعده على
استعادة عرشه ، إذا ما أراد أن يرى تلك الأموال . فذهب بوستيوموس إلى
بوليوس سيزار وبومبيي ، وغيرهما من الساسة والقواد الرومانيين ،
يستنجد بهم . ويستعجلهم مساعدة «صديق وحليف روما» .
وقد جاء إلى روما خلال نزول بطليموس أوليتس وكليوپطرة بها ، وفد

من أغريق الأسكندرية . وكان يتألف من ١٠٠ عضو . وعلى رأسه الفيلسوف الأغريقي ديوه Dio . وقد حاول أعضاؤه أن يوضحوا للرومانيين أسباب الثورة التي قامت فى أنحاء مصر . وطرده بسببها بطليموس أوليتس عن العرش . واختيارهم لأبنتيه ملكتين على البلاد . . . ولكن بطليموس أوليتس كان يوزع الهدايا والرشاوي والوعود يميناً ويساراً . بل ونجح فى قتل عدد غير قليل من أعضاء الوفد الأغريقي الذى جاء إلى روما . كان أولهم ديوه . وانحاز اليه تماماً ، لسبب أو لآخر ، جميع الساسة والقواد الرومانيين .

وفى العام التالى ، ٥٧ ق م ، وبعد أن اطمأن أوليتس إلى سير الأمور فى روما ، تركها إلى معبد أرتيمس فى إيفسوس ، مخلفاً وراءه أحد تابعيه : المسمى هامونياس ، لمتابعة قضاياه .

وقد أنتهى هامونياس إلى الاتفاق مع القائد الروماني فى سوريا : جابينيوس Gabinius على أن يسير لمصر ، وأن يعيد بطليموس أوليتس إلى عرشه فى الاسكندرية بالقوة . على أن يدفع له بطليموس أوليتس كل ما قد يتحمله جابينيوس فى هذا العمل من نفقات .

وقد دخل جيش جابينيوس الأسكندرية فى عام ٥٥ ق م . وكان على رأس فرسانه مارك أنطوني . وعاد بطليموس أوليتس إلى عرشه ، ودفع لجابينيوس نفقاته : ١٠٠٠٠٠ تالنتس أخرى .

ولاية كليوباترة عرش مصر

كانت كليوباترة السادسة ترفينا قد توفيت خلال غياب أبيها بطليموس أوليتس ، وشقيقتها كليوباترة السابعة ، فى روما ، وأنفردت شقيقتها بيرنيس الرابعة بالحكم فى الأسكندرية . وكان الاغريق فيها قد أخذوا يطالبونها بالزواج ، وقد تزوجت فى عام ٥٧ ق م بأحد الأمراء السيلوكيين . ولكنها لم تمكث معه غير ثلاث ليال ، ثم قتلتها ، وتزوجت من بعده بأحد الاغريق من أبناء بونتاس : المسمى أرشيلالوس . وقد أيد إغريق الأسكندرية حكم بيرنيس وأرشيلالوس . ولكن المصريين أستمروا فى مناهضتهم للحكم البطلمي ، وأغرقوا البلاد فى الاضطرابات .

وعندما دخل جيش جابينيوس الأسكندرية فى عام ٥٥ ق م ، قتل قائده أرشيلالوس ، وأسر بيرنيس الرابعة . ثم سلمها لوالدها ، بطليموس أوليتس ، عندما دخل هذا الأسكندرية مع ابنته كليوباترة . وقد أمر بطليموس أوليتس بقتل ابنته بيرنيس .

ويقال أن بطليموس أوليتس قد عين مقرضه ، بوستيوموس ، الذى دخل معه الأسكندرية عند إعادة فتحها ، فى رئاسة الوزارة . ومهما

كانت حقيقة المنصب الذى تولاه بوستيموس ، فقد كان منصباً كبيراً فى البلاد ، أتاح له أن يجمع الأموال والنفائس منها . وفى العام التالي ، ٥٤ ق م ، أستقدم بوستيموس عدداً من السفن ، وحملها بكل ما أستطاع جمعه من أموال ونفائس . ولكن اغريق الأسكندرية ثاروا عليه ، وتهددوه بالقتل ، فأضطر إلى مغادرة المدينة على آخر السفن التى حملت ما أستطاع جمعه منها .

وبلاحظ أنه عند عودة جابينيوس وبوستيموس إلى روما ، أن السينات الروماني قد أتهمهما بالأنحراف . وقد دافع عنهما فى المحاكمة الخطيب الروماني شيشرون Ciceron . قبل لقاء أجر باهظ . وقد نفى جابينيوس من روما . وورثت ساحة بوستيموس .

وكان جابينيوس قد خلف وراءه فى الأسكندرية ، جيشه «الجابيني» لحماية بطليموس أوليتس . وقد ضم هذا الجيش الكبير جنوداً من مختلف أقطار العالم ، التى كان جابينيوس قد حارب فيها . وقد أستخدم بطليموس أوليتس كل ما ملكه من صبر ودهاء ، فى محاولة ارضاء وتهذيب هذا الجيش ، واستخدامه فى تحقيق أغراضه .

وكان بطليموس أوليتس قد وضع وصيته بعد عودته إلى الأسكندرية . وأودع نسخة منها لدى بومبيي فى روما . وقد أستحلف المواطن الرومانيين على «أن يبذلوا كل جهودهم فى تنفيذها» . وقد أوصى بطليموس أوليتس فى وصيته ، بأن يذهب عرش البطلمة من بعده إلى ابنته كليوباترة وابنه الأصغر بطليموس الثالث عشر .

فلما توفي بطليموس أوليتس ، فى حوالي مايو عام ٥١ ق م ، خلفته كليوپطرة وشقيقها بطليموس الثالث عشر على العرش . وقد تزوجا . وكانت كليوپطرة فى الثامنة عشرة من عمرها ، وبطليموس الثالث عشر فى الثالثة عشرة . ولقب الأثنان بالمحبان لوالدهما ، وبالمحب لأخيه / ولأخته .

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى تتولى فيها كليوپطرة حكم مصر . فقد قيل أنها قد تولت الحكم مع والدها شهوراً ، قبيل وفاته فى عام ٥١ ق م .

ويلاحظ أن كليوپطرة قد أستأثرت بالحكم منذ البداية ، من دون أخيها . فوضعت صورتها ، ونقوشها ، منفردة فوق التماثيل والنقود . رغم أن التقاليد كانت تحتم وضع صورة شقيقها ، أو الأوصياء عليه ، فى المقدمة . ولكنها لم تراعى شيئاً من هذا . واستطاعت بحكمتها وحزمها ، وبما سبق أن أكتسبته من معرفة وخبرة ، أن تزيج شقيقها تدريجياً عن الأضواء .

ويقال أن الظروف قد حابت كليوپطرة فى ذلك الوقت برئيس وزراء حكيم ومتمرس ، هو بروتارخوس . وأنهما قد أستطاعا فى أول أزمة واجهتهما مع الجنود الجابيين ، أن يكبحوا جماحهم ، وأن يحتفظوا بثقة الرومانيين بهم .

فان القائد الروماني فى سوريا ، ماركوس بيبيلوس ، كان قد أرسل إبنه إلى الأسكندرية كى يختار له بعض الجنود الجابيين لتعزيز قواته

أمام البارثينيين . وكان البارثينيون قد نجحوا ، فى عام ٥٣ ق م ، فى هزيمة القائد الروماني زوسا فى سوريا ، وقد قتلوا القائد الروماني القدير كراسوس ، واحتلوا أكثر أنحاء سوريا وآسيا الصغرى . ولكن الجنود الرومانيين ، بقيادة ماركوس بيبليوس ، أستطاعوا بعد ذلك أن يستعيدوا تلك المناطق . وأرسل ماركوس بيبليوس إبنه إلى مصر ، كى يحضرا له امدادات من جنودها ، لتعزيز قواته هناك .

ولكن الجنود الجبابين فى الأسكندرية قتلوا ابني ماركوس بيبليوس . ورفضوا أن يذهب أحد منهم إلى سوريا . وقد أستطاعت كليوپطرة ، بفضل وزيرها بروتارخوس ، أن تقبض على قتلة ابني ماركوس بيبليوس ، وأن ترسلهم اليه فى سوريا ، كى يفعل بهم ما يشاء .

وكانت الأسكندرية ، عند إرثقاء كليوپطرة عرش مصر ، فى عام ٥١ ق م ، أعظم وأجمل مدن حوض البحر الأبيض المتوسط والعالم القديم . فإن قرطاجنة كانت قد ذهبت . والدويلات اليونانية قد ضعفت . وروما لم تتم قيامها بعد . ولم تكن هناك مدينة أخرى تنافس الأسكندرية حضارتها ، وعظمتها ، وجمالها ، وصناعاتها ، وتجاراتها .

فقد كان بالأسكندرية مدرسة فلسفية وتاريخية هامة ، يتزعمها الفيلسوف فيلوستراتوس Philostratus والمؤرخ نيكولا الدمشقي Nicolaus of Damascus . وكان فيها مدرسة طبية متقدمة ، شهد لها جالينوس ، وتميزت بالخبرة فى السموم ، كما سيجي .

وكانت الأسكندرية تحتكر عدة صناعات ، ورثتها عن المصريين القدماء ، منها صناعات الروائح ، والدهانات ، والأصباغ ، والورق «البابيروس» . وقد اخترعت نفخ الزجاج . وأخترت أحدث أنوال العالم القديم فى ذلك الوقت ، وهو النول الرأسي . وقد ازدهر بها على وجه الخصوص غزل الصوف . وكان يتم فى مغزل «بطلمي» كبير يقوم على ادارته سناتور روماني ، كان اسمه فى عهد كليوپطرة : كورنتياس أوفيناس .

وكان قد قام بها ، على ما سبق أن ذكرنا ، الشوارع والمباني والقصور والمعابد . وكان فيها المتحف ، والفنار ، وقبر الأسكندر ، ومعبد السرابيوم .

وكانت مصر أكبر مزرعة للقمح يتغذى بها العالم القديم . وكان ما يرسل منها إلى روما فى كل عام ، يطعم سكانها طوال أربعة شهور . وكان البطالمة يحتكرون أكثر أنواع التجارة . وقد أقاموا فى الأسكندرية «بنوكاً عامة» تقرض الأموال للصناع والتجار والزراع ، بفوائد محددة لا تتجاوز ٢٥ بالمائة من قيمة القرض . وكان على أبواب الأسكندرية جمارك تفرض الرسوم على الدهون والزيوت المستوردة (٥٠ بالمائة) وعلى أنواع النبيذ والتين (الثلث) . ويمر عن طريقها الورق والصوف والملح ، إلى أسواق البحر الأبيض المتوسط .

وكان الملوك البطالمة يمتلكون جميع أراضي مصر الزراعية ، الا ما خصص منها للمعابد . ويحتكرون أهم صناعات الأصباغ ، والدهانات ،

والورق ، والغزل ، والمعاصر . وكانت قصورهم تزخر باللاآلى ، والجواهر ،
والتماثيل الذهبية . وقد قيل أن كليوبطرة كانت تذيب اللاآلى فى النبيذ
قبل أن تشربه . ولكن هذا غير صحيح . لأن النبيذ لا يذيب اللاآلى .

وقد قص بلوتارخ قصة زيارة أحد أصدقاء عمه فيلوتاس ، إلى مطبخ
قصر كليوبطرة . فذكر أن هذا الصديق قد أبدى دهشته للطباخ ، من كثرة
الطعام الذى يعده للعشاء . وكان من بينه ثمانية خنازير مشوية . فضحك
الطباخ وقال أن ما يعده وجبة عادية جداً . لأن عدد المدعوين إلى الطعام
هو اثنى عشر فرداً فقط . بينما عددهم قد يجاوز أحياناً المئات .

وذكر له الطباخ أن عليه أن يتعهد كل كبيرة وصغيرة فى المأدبة . لأن
أى هفوة صغيرة ، وحتى تأخير دخول أحد الأطباق ، قد يفسدها . «مع
أننا نجعل على الدوام ميعاد بدء الوليمة . لأن كليوبطرة قد تدعو
مدعوها إلى العشاء مباشرة ، أو تحادثهم وقتاً يطول أو يقصر ، أو تأمر
بتقديم الشراب لهم قبل بدايتها . ونحن لا نستطيع أن نحتفظ بأطباقنا ،
بعد طهيها ، ساخنة . ولهذا لابد لنا من أعداد سلسلة من الأطباق
المتوالية ، من دون أن ندري أى أطباق منها سيظهر على المائدة .

وكان الملوك البطالمة قد شقوا من نهر النيل إلى البحر الأحمر قنوات ،
لتسهيل الملاحة والتجارة ، بين حوضي البحرين الأبيض المتوسط
والأحمر . وكانت التجارة مع السودان وأثيوبيا منتظمة . ولكن البطالمة
عملوا على مدها إلى الأقطار الأخرى ، وحتى سواحل الهند . وقد
استخدم بطليموس الثامن رحالة إغريقي ، هو إيودوكساس كيزيكس ،

لأستكشاف الطريق البحري حتى القارة الهندية . وكانت مهمة حماية هذه الطريق البحرية ، من أولى المهام التى يقوم بها حاكم الصعيد . عن طريق الدوزيات البحرية التى تخرج من موانئ مصر فى البحر الأحمر .

وكان الملوك البطالمة قد طوروا أنظمة حكم الفراعنة ، فأخذوا عنهم «أفضل بيروقراطية حكومية» فى العالم القديم . وكان موظفو الحكومة البطلمية هم الوحيدون فى العالم القديم الذين كانوا يقبضون مرتبات ثابتة من حكومتهم . وحتى روما ، لم تكن قد فعلت ذلك بعد .

وكان يتولى الحكم فى أنحاء مصر ، ثلاثة حكام . هم حكام الصعيد ، ووسط مصر والفيوم ، والدلتا . وكان يعاون كل حاكم من هؤلاء الحكام الثلاثة ، موظفون ورجال ري وشرطة الخ . يتعهدون أمور الري والأمن والضرائب وغيرها . برصد البيانات والأرقام ، التى يحررونها على أوراق البايبيروس التى يحوذتهم . ولم يكن مسموحاً للفلاح المصري أن يترك أرضه خلال السنة الزراعية ، أى حتى يجمع محصول الأرض ، ويسدد ما عليه من إيجارات وضرائب . وكان بطليموس ايليتس قد أبتكر شيئاً جديداً . فأن النقود فى زمانه كانت من الفضة . وكانت القطعة الواحدة من العملة ، تحتوى من هذه المادة على ما يوازي قيمتها . ولكنه خفض ما تحتويه عملاته من الفضة إلى نحو ثلث ما تساويه . وجاءت كليوبطرة ، وخفضت ما تحويه من الفضة ، إلى نحو ربع ما تساويه . أى بدلاً من أن تضع ما يوازي ١٠ تالنتات من الفضة ، فى قطعة العملة المكتوب عليها هذا القدر ، وضعاً ثلث وربع هذه القيمة فقط . وكتبها

على قطعة العملة ١٠ تالنتات . وأدخلا الفرق فى خزائنها . وهذه هى البداية الصحيحة للعملة الحديثة ، معدنية ثم ورقية .

ويلاحظ أن المصريين قد أستمروا على الدوام ، طبقة غريبة ، وكسيرة الجناح ، فى هذه المملكة البطلمية المزدهرة . وأنه بالإضافة إلى ثورات المصريين المتكررة ضد الغاصبين الأغريق ، فقد ظلوا يبنون أنفسهم بأحلام ونبوءات وأساطير ، منها نبوءة «الخازف» المعروفة ، والتى تتنبأ بأن ملكاً «مصرياً صميماً» سوف يظهر فى يوم قريب ، ويطرده الأجانب الغاصبين عن البلاد . وقد عرف البطالة قدر الخطر من هذه النبوءات . وحاربوها بكل قوة وقسوة . وجعلوا الموت مصير من يضبط بكتابتها أو ترويجها .

وجدير بالذكر أن هيرودوت Herodotus قد ذكر ، أن المصريين قد اعتبروا الأغريق «شعباً غير نظيف» . وقد لاحظ المؤرخون أنه بعد وفاة كليوپطرة ، ودخول الرومان مصر ، رفع كهنة آمون على معابدهم لافتات تطلب إلى غير المصريين ألا يدخلوها . وكانوا يقصدون بذلك إغريق مصر . ويلاحظ أيضاً ، أن كهنة آمون بالذات كانوا يعبرون ، أكثر من غيرهم من الكهنة الآخرون عن روح الوطنية المصرية . وقد قاوموا حكم البطالة . وقاوموا بعد ذلك حكم الرومان .

الخلاف بين كليوبطرة وشقيقها

لاحظ المؤرخون ، أنه عند بداية عام ٥٠ ق م ، ظهرت خلافات علنية بين كليوبطرة وشقيقها بطليموس الثالث عشر . وقد سبق أن ذكرنا أن كليوبطرة لم تكن محبوبة عند مواطنيها من أغريق الاسكندرية . لألتصاقها السابق بأبيها ، بطليموس أوليتس . ولميلها المعروف للتعاون مع الرومانيين .

وقد أختفت كليوبطرة بعد ذلك بشهور من الأسكندرية . وظهرت فى صعيد مصر . وعثر على «أوامر بطلمية» إلى حكام الأقاليم ، تطلب اليهم عدم ارسال قمع البلاد إلى الصعيد ، وتوجيهه كله إلى الأسكندرية. حيث أستمروا شقيقها والأوصياء عليه يحكمون البلاد .

وقد أستمروا هذه الخلافات بين كليوبطرة وشقيقها طوال عام ٥٠ ق م ، ثم حرمت كليوبطرة من العرش حرماناً رسمياً فيما بين يونيه وسبتمبر عام ٤٩ ق م . وذهبت كليوبطرة فى العام التالى ، ٤٩ ق م ، إلى حدود مصر الشرقية . وقد وجدت صورتها على بعض النقود الفلسطينية هناك بين الأعوام ٤٩ و ٤٧ ق م . وكان هذا من حسن طالع كليوبطرة ..



لقاء أنطوني و كليوپطرة لتبولي



Fig. 1. The Gilded



اوكتافىوس



عملة فضية سورية عام ٣٤ ق م
على أحد وجهيها كليو بطرة والوجه الآخر أنطوني

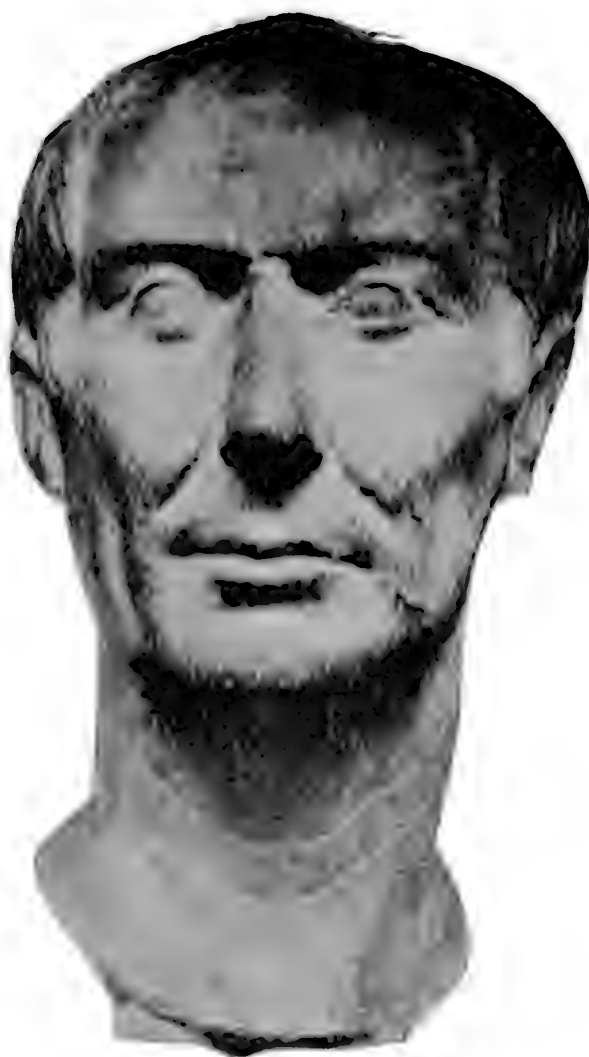




وجه كليوپطرة على عملة سكندرية وعمرها ٢٣ عاماً



تمثال بطليموس أوليتس



پشاور کے ایک پولیس سیران



كليبطة للفنان جیروم

ففى بداية عام ٥٠ ق م ، ظهر الخلاف بين بومبيي ، الذى كان يحظى بتأييد الرومانيين ، وبين القائد الرومانى الذى فتح أكثر أنحاء أوروبا فى ذلك الوقت : يوليوس سيزار .

وفى العام التالى ، ٤٩ ق م ، تحول هذا الخلاف إلى حرب أهلية طاحنة بينهما . انتصر فى نهايتها سيزار على بومبيي . وطرده مع قلول قواته من ايطاليا . فلجأوا إلى دول بلقانية مختلفة ، ثم إلى اليونان . وقد أرسل بومبيي ، فى مارس عام ٤٩ ق م ، أبنه إلى الاسكندرية ، يطلب مساعدتها له ضد غريمه . ولم تكن كليوپطرة بالاسكندرية ، على ما أشرنا ، وإنما بالصعيد ، فأستقبله الأوصياء على شقيقها بحفاوة ظاهرة ، ووافقوا على تقديم عونهم له . وقد أرسلوا له ٦٠ سفينة حربية ، و ٥٠٠ من الجنود الجابيين ، وأمدادات كثيرة أخرى .

ويلاحظ أن بومبيي كان هو الطرف الأقوى ، فى بداية خلافه مع يوليوس سيزار . فإلى جانب تأييد روما له ، وقف إلى جانبه سينات هذه المدينة كاملاً . وعندما تراجعت بومبيي وجنوده ايطاليا إلى البلقان ، وذهبوا إلى اليونان ، توجه أهم أعضاء السينات الرومان إلى سالونيك ، وأعلنوا تأييدهم له . وقدموا الشكر لمصر على معاونتها له ، ثم عينوا بومبيي وصياً على بطليموس الثالث عشر ! .

ولكن يوليوس سيزار أحتل بعد ذلك أنحاء ايطاليا ، ثم أسبانيا ، وتبع بومبيي وجنوده فى أقطار البلقان . وانتصر عليهم فيها فى معركة فارسالوس فى أغسطس عام ٤٨ ق م . حتى لم يجد بومبيي وقلول

قواته أمامهم الا الهرب إلى الأسكندرية .

وكان بومبيي قد قدر أن بطليموس الثالث عشر ، الذى سبق أن قدم له مساعداته من الجنود والأموال والعتاد ، سيقف إلى جانبه حتى النهاية. وأنه سيستطيع بمساعداته أن يؤلف جيشاً جديداً ، ويحارب به يوليوس سيزار ، وينتصر عليه .

ولكن مصر كانت قد شهدت ، خلال صيف ذلك العام ، فيضانا مدمراً. وقد فسدت الزراعة فيها . وعانت البلاد من القحط . كما أن أوصياء بطليموس الثالث عشر ، وعلى رأسهم رئيس وزرائه بوتيناس ، كان قد تأكد لهم أن الأمور قد تحولت من أيدي بومبيي إلى أيدي يوليوس سيزار . ولم يعد من الضروري ، أو حتى من الحكمة ، مساعدة الأول على الثانى .

وعندما قاربت سفن بومبيي الأسكندرية ، خرج للملاقاتها ، وهى بعد فى عرض البحر ، قارب وحيد . ولم يكن يحمل الا بعض الضباط والجنود البطالة . وقد رحب كبيرهم ، سيبتيمياس ، ببومبيي . ودعاه إلى مرافقتهم إلى الميناء . فنزل بومبيي وأربعة من معاونيه فى القارب . وأنجّه القارب بهم إلى ميناء الأسكندرية .

ولكن سيبتيمياس ، سرعان ما أخرج خنجره ، وطعن به بومبيي طعنة قاتلة فى بطنه . وهاجم بقية الجنود البطالة معاوني بومبيي وقتلوه ، وألقوا بجثثهم إلى البحر .

وفى هذه الأثناء ، كانت السفن البطلمية الراسية فى الاسكندرية ،

قد أخذت تهاجم سفن بومبيي بسهامها . وقد ألجأتها إلى الفرار إلى عرض البحر .

وقد وصل يوليوس سيزار إلى الأسكندرية بعد أربعة أيام من مقتل بومبيي فى مياهاها ، وفرار أسطوله منها . وكان مع يوليوس سيزار ٣٢٠٠ جندي و ٨٠٠ فارس وخيولهم ، تحملهم جميعاً ١٠ سفن رومانية ضخمة . وقد أستقبلتهم على مدخل الميناء بعثة بطلمية ، على رأسها معلم بطليموس الثالث عشر : ثيودوتاس .

وقد حاول ثيودوتاس أن يثني يوليوس سيزار عن دخول الأسكندرية . وأن ينصحه بضرورة متابعة سفن وجنود بومبيي الضارية فى البحر . ولكن يوليوس سيزار كان يحتاج إلى الراحة ، هو ومن معه . وإلى المؤن والأموال ، التى تمكنهم من مواصلة الحرب ضد أعدائهم .

ويلاحظ أن يوليوس سيزار كان قد دخل مدينة الأسكندرية ، ومن حوله مستشاروه وأتباعه ، كقنصل روماني . وقد أثار عليهم هذا ثائرة الأغريق السكندريين ، الذين وجدوا فى هذا التصرف مساساً باستقلال البطلمة السكندريين عن الأمبراطورية الرومانية . وقد تصدوا لموكبه فى شوارع الأسكندرية ، وصاحوا فيه . وطالبوه بالعودة إلى بلاده . ثم أعتدوا ، فى الاضطرابات التالية بالمدينة ، على كثير من جنوده ، وقتلوا بعضهم .

وطبيعي ألا يرتاح يوليوس سيزار لهذا الاستقبال الذى قابله به أغريق

الأسكندرية ، وأن يتذكر أن المدينة قد قدمت السفن والعتاد والمؤن والأموال لعدوه بومبيي ، قبل أن تغدر به ، عندما تبين لها خطأها في مساعدته . وأن يتذكر أيضاً أن بطليموس أوليتس كان مديناً للمرابي الروماني بوستيوماس بقدر كبير من الأموال . وأن بوستيوماس كان قد أوكل إلى يوليوس سيزار استرجاعه منه . وصحيح أن بطليموس أوليتس قد مات ، ولكن خلفاؤه أصبحوا مسئولين أمامه عن هذا الدين . يضاف إلى هذا ، أن بطليموس أوليتس قد أستخلف الرومانيين على تنفيذ وصيته ، في ضرورة أن تخلفه ابنته كليوپطرة وابنه بطليموس الثالث عشر على العرش . ولكن أين هي كليوپطرة ؟ . بل أين هو بطليموس الثالث عشر ؟ .

وكانت كليوپطرة ، وشقيقها بطليموس الثالث عشر ، ومع كل منهما جيشه ، يتقاتلان على حدود مصر الشرقية . وقد أرسل يوليوس سيزار اليهما كي يحضرا اليه في الأسكندرية . وحضر اليه بعد أيام من دعوته بطليموس الثالث . وأخذ يوليوس سيزار يبحث معه كافة المواضيع السياسية والعسكرية والاقتصادية الخاصة بمصر . ويتسائل عن أسباب خصومته ، وقتاله ، لشقيقته الكبرى كليوپطرة .

ولم يعجب هذا التدخل في شئون البطالمة وزير بطليموس الثالث عشر بوتيناس . وكان خصياً إغريقياً ، يكره الرومان . ويعتبرهم ، مع غيره من المثقفين الأغريق «برابرة» . وقد أخذ بوتيناس يجادل يوليوس سيزار

فى أسياب بقائه بالأسكندرية . ويعارض محاولاته جمع العتاد والمؤن والمال منها .

وقيل أن الوزير بوتيناس قد أمر بأن يقدم الطعام ليوليوس سيزار وأصحابه فى أطباق مكسورة ، عله يفهم سوء حالة البلاد . وبأن يقدم لجنوده أسوأ الحبوب والأطعمة ، علهم يتعجلون تركها .

ويقال أن بوتيناس قد حاول فى نهاية الأمر أن يفتال بنفسه يوليوس سيزار ، وأنه لم يوفق فى محاولته . وأن يوليوس سيزار قد أمر - بعد ذلك - بقتله .

وأما كليوپطرة ، فانها عندما سمعت بوصول يوليوس سيزار إلى الأسكندرية ، ثم تلقت دعوته بالحضور إليها ، أرسلت له خطاباً طويلاً ترحب به . وتشرح له فيه قضيتها ضد أخيها . وقد حاولت أن تذهب إليه فى الأسكندرية . ولكن جيش أخيها ، بطليموس الثالث عشر ، كان يقف بينها وبين المدينة .

وقيل أن كليوپطرة قد أستقلت مركباً صغيراً حتى مياه الأسكندرية . ثم تسللت فى قارب أصغر إلى داخل الميناء . وأنها قد رشت بعض ضباط وجنود شقيقتها ، كي يسمحوا لها بدخول المدينة .

وقيل أيضاً أن أحد تجار السجاد القبارصة قد أخفاها وسط سجادة كبيرة ، دخل بها القصر لعرضها على يوليوس سيزار . وأنه ما أن وضع لسجادة على الأرض ، وأخذ فى نشرها أمامه ، حتى خرجت منها

كلربطرة وهى فى أنضر شبابها ، وأروع زينتها ،
ولم تكن كلربطرة جميلة . فان فمها كان واسعاً . وأنفها كان
مقوساً وطويلاً . وقد وصف بلوتارخ جمالها بأنه ...

« لم يكن جمالها من هذا النوع غير العادي الذى يأسر الانسان
لأول وهلة . ولكن سحرها كان قوياً . ولم يكن أحد يستطيع أن يقاوم
قوة شخصيتها . فان وجودها وحديثها كانا طاغيين . وكل كلمة كانت
تنطق بها ، وكل حركة تأتيها ، كانت تريد بها شد اعجاب من
يخاطبها ، وإيقاعه تحت سيطرتها » .

وقد قرأ شكسبير وصف بلوتارخ لكلربطرة ، وحاول أن يعبر عن
صورتها ، ليس بالجمال ، وإنما بما أسماه «قوة حيويتها» و «نبل
حياتها» .

والمعروف أن كلربطرة كانت من أوائل السيدات فى التاريخ اللاتي
لبسن باروكات الشعر . وأحكمن حركته بقوس من الحديد .

ويقال أنها كانت تكثر ، كالمصريين عامة وقتها ، من وضع المساحيق
والزينات . وكانت تدهن رموش عينيها بالانتيمون والملاخيت بقضيب
رفيع . وكانت تضع الأوكر الأحمر على شفاها بفرشاة . وتحلي أظافر
يديها بهذا اللون أيضاً . وكانت تزين يديها وقدميها بالحناء . وتدعك
جلدها بالرصاص لإظهار بياضه ، وبالنباتات وعصاراتها لأكسابها
الحبيرة .

وكانت كلربطرة موفورة الشباب والنضج ، فى الواحدة والعشرين من

عمرها ، عندما قابلت يوليوس سيزار فى الاسكندرية . وقد أصبح فى يده مصيرها ، وقضية عرشها ، ومستقبل مملكتها . فى الوقت الذى أهتم فيه مركزها وتضععت قوى البطالة فى مصر وتهددت مملكتهم بالزوال. وكان يوليوس سيزار فى الثانية والخمسين من عمره . وقد تخطى سنوات الشباب . وكان متزوجاً من زوجته الرومانية كالبورنيا Calpurnia التى أنجبت له ابنته الوحيدة : جوليا Gulia . ولكن هذا الزواج لم يكن يمنع القائد الرومانى الكبير ، من الدخول فى تجارب أخرى غرامية مع عدد من النساء الجميلات اللاتى صادفهم فى حياته .

طلاق كليوباترة وبطليموس الثالث عشر

لم تقض ساعات على لقاء كليوباترة ويوليوس سيزار ، حتى كان الأعجاب قد تبادل ، و التفاهم بينهما قد أكتمل ، والعلاقات قد بدأت تتوثق . وخرج بطليموس الثالث عشر من قصره إلى شوارع الأسكندرية ، وهو يصرخ : لقد خانوني ! . وأخذ يطالب أعوانه بالثورة والأنتقام ! .
 وذهب وزير بطليموس الثالث عشر ، بوتيناس (قبل قتله) لتحذير أغريق الأسكندرية ، من أن يوليوس سيزار سوف يجعل من كليوباترة ملكة وحيدة على عرش مصر .

وتجمع الأغريق السكندريون مع أفراد الجيش البطلمي ، حول أبواب القصر الذي نزل فيه يوليوس سيزار . وحاولوا اقتحامه . ولكن جنود يوليوس سيزار ردوهم على أعقابهم . وظفروا ببطليموس الثالث عشر ، وأدخلوه عنوة إلى القصر ، وأغلقوا بواباته الكبيرة .

وقد حاول يوليوس سيزار أن يطمئن بطليموس الثالث عشر وأعوانه فوعدهم بأنه سوف يجد لهم جميعاً الحل الذي سيرضيهم . وأستطاع فى النهاية أن يصلح بطليموس الثالث عشر على كليوباترة ، وأقام بهذه المناسبة وليمة كبرى فى قصره ، أعلن يوليوس سيزار خلالها ، ضم

قبرص كمملكة مستقلة إلى العرش البطلمي فى الاسكندرية .
 ويلاحظ أن السينات الرومانى كان قد أعلن ، قبل هذا بعشر سنوات ،
 ضم جزيرة قبرص إلى الأمبراطورية الرومانية . وخلص من عليها بطليموس
 قبرص ، شقيق بطليموس أوليتس . الذى أنتحر . وكان هذا من أسباب
 غضب الأغريق السكندريين على روما . ولعل بوليوس سيزار قد أراد
 بمبادرته الجديدة مصالحتهم . ولعله أراد أن يجد مملكة ثانية للملكى مصر
 المتنازعين على عرشها . ومهما كان الأمر ، فان اعلانه إعادة قبرص إلى
 بطالة الاسكندرية ، من دون استشارة السينات الرومانى ، كان إفتئاتا
 منه على حقوق السينات .

وقد هدأت الامور فى الأسكندرية شهوراً ، أى حتى أكتوبر عام ٤٨
 ق م . حين علم يوليوس سيزار أن بطليموس الثالث عشر ، ووزيره
 بوتيناس ، قد أمرا قائدهما على حدود مصر الشرقية ، اخيلاس ، بأن
 يعود بجيشه إلى الأسكندرية . وفى الشهر التالى ، نوفمبر ٤٨ ق م ،
 كان اخيلاس يتقدم مع ٢٠٠٠٠ جندى و ٢٠٠٠ فارس ، من بينهم
 أغريق ومصريون وجابيتيون وعبيد ، نحو أبواب المدينة العظمى .
 وقد أسرع يوليوس سيزار بالكتابة إلى قواده فى سوريا وآسيا
 الصغرى واليونان ، كى يرسلوا له امداداتهم . وطلب إلى اخيلاس أن
 يوقف من فوره تقدمه على الأسكندرية . ولكن اخيلاس قتل رسل
 يوليوس سيزار قبل أن يلقوه وينقلوا اليه رسالة يوليوس سيزار .

وقد أستقبل الأغريق السكندريون قوات أخيلاس ، عند بلوغها أبواب مدينتهم ، استقبال الأبطال . وساعدوهم على محاصرة القصر البطلمي ، وبداخله يوليوس سيزار وكليوبطرة وبطليموس الثالث عشر . وأمتد القتال بين جنود أخيلاس وجنود يوليوس سيزار فى شوارع الأسكندرية ، وفوق الأرصفة المحيطة بمينائها . وكان لأخيلاس ١٠٠ سفينة حربية . ولم يكن ليوليوس سيزار غير ثلاثين . ولكن هذه السفن الرومانية كانت أكبر ، وأفضل تسليحاً ، من السفن السكندرية . وقد أستطاع يوليوس سيزار بواسطتها أن يسيطر على الميناء ، وأن يحرق عدداً كبيراً من السفن البطلمية فيه . وقد أحترق مع هذه السفن أكثر أرصفة ومخازن الميناء . ويقال أن مكتبة الاسكندرية قد قضى عليها أيضاً خلال تلك الحرائق .

ثم أستطاع جنود يوليوس سيزار أن يستولوا على فنار الاسكندرية . وأن يمدوا منه نفوذهم حول القصر البطلمي . وجعلوا من معبد دايونيساس مقراً لقيادتهم . وأخذوا يسيطرون منه على الناحية الشمالية الشرقية من المدينة .

ولكن أرسينوه ، شقيقة كليوبطرة ، نجحت فى الهرب من القصر البطلمي . وأنضمت إلى قوات أخيلاس المحيطة بالأسكندرية . وبادر إغريق الأسكندرية إلى اعلاتها ملكة على مصر ، مع بطليموس الثالث عشر . وكان هذا يعنى عزل شقيقتها كليوبطرة عن الحكم . وكانت أرسينوه الرابعة فى السابعة عشرة من عمرها . وقد عينت

أستاذها ، الخصي الأغريقي جانيميدس رئيساً لوزرائها . ولكن الخلاف سرعان ما دب بين أخيلاس وجانيميدس . وقد علم رئيس وزراء بطليموس الثالث عشر ، بوتيناس ، فى داخل القصر البطلمي ، بأمر هذا الخلاف . فأرسل سراً إلى أخيلاس ، يعلنه بتأييد بطليموس الثالث عشر . ويعده بفراره ، هو والملك البطلمي ، وانضمامه اليه .

ولكن رسول بوتيناس إلى أخيلاس ، وقع فى أيدي جنود يوليوس سيزار . فقبض يوليوس سيزار على بوتيناس ، وقتله ، (كما أشرنا) فى الوقت الذى كان جانيميدس قد نجح فيه فى التغلب على أخيلاس ، وجعل من نفسه قائداً لقواته .

وكانت امدادات قوات الشرق ، من السفن والجنود وغيرها ، قد أخذت تصل الى يوليوس سيزار . وقد أستطاع أن يسيطر بها على جميع ضواحي الاسكندرية المتاخمة للبحر . ولكن يوليوس سيزار وقع فى «مصيدة» أعدتها له القوات السكندرية ، وكاد أن يفقد فيها حياته . إذ حاصره الجنود السكندريون مع بعض جنوده ، وهو على أحد أرصفة الميناء . حتى أضطر أن يقذف بنفسه إلى مياه البحر ، وأن يسبح ٢٠٠ متر حتى يصل إلى القصر .

يقول بلوتارخ مستخدماً فى روايته خياله :

« وقد سبح يوليوس سيزار مسافة ٢٠٠ متر ، حتى بلغ القصر البطلمي ، فى الوقت الذى كان يحمل فيه بعض الأوراق الهامة ، والتى رفض أن يتركها خلفه . رغم ما كان ينهال عليها من سهام . ولهذا سبح

سبح هذه المسافة الطويلة بيد واحدة وبعضها تحت سطح الماء بينما كانت يده الأخرى مرتفعة من فوقه حاملة أوراقه »

ويلاحظ أن احتفاظ يوليوس سيزار ، ببطليموس الثالث عشر ، داخل القصر البطلمي ، كان يمنع هذا الملك الصبي ، من التورط فى أعمال تدينه ضد الرومان . ولكن كليوبطرة أقنعت يوليوس سيزار بأن الافراج عنه ، كي ينضم إلى القوات السكندرية ، سيسبب الشقاق بينه وبين أرسينوه ومستشاريهما . وقد حدث ما توقعته كليوبطرة . فانه عند افراج يوليوس سيزار عن بطليموس الثالث عشر ، أنضم إلى القوات السكندرية ، وتزعما ، ولم يعد اسمى أرسينوه وجانيميدس يسمعان . وكانت كليوبطرة قد حملت من يوليوس سيزار . وقد أنتهزت خروج بطليموس الثالث عشر من القصر ، وانضمامه إلى القوات السكندرية ، فطلقته .

غرام يوليوس سيزار بكليوبطرة

أمر يوليوس سيزار بجمع جيش روماني كبير على حدود مصر الشرقية ، وقد تألف هذا الجيش من جنود أغريق وسوريين وعرب ويهود ، وضعوا جميعاً تحت قيادة القائد الروماني ميثريدياس . وقد ساعده يهود فلسطين وسوريا ، لا بالجنود فحسب ، وإنما بالنصيحة والإمدادات أيضاً . وأستمال هؤلاء اليهود ليوليوس سيزار أيضاً يهود الأسكندرية . وقد سبق القول الى أن اليهود كانوا يؤلفون نسبة كبيرة بين أهالي الأسكندرية . وعندما وجد هؤلاء ، أن يهود فلسطين وسوريا قد إنحازوا إلى يوليوس سيزار ، مالوا هم أيضاً اليه .

وقد قاد ميثريدياس جيشه ، في بداية عام ٤٧ ق م ، من العرش . فأتجه جنوباً بغرب ، ناحية منف . ثم صعد شمالاً الى الاسكندرية . وكان جيش بطليموس الثالث عشر ، الذي يفوقه عدداً وتنظيماً ، لا يزال يحاصر الأسكندرية . وقد عسكر في انتظاره حول بحيرة مريوط .

ولكن يوليوس سيزار خرج بقواته الرومانية من الأسكندرية إلى شرقي بحيرة مريوط . ثم أستدار حول البحيرة ، وأخذ يهاجم جيش بطليموس الثالث عشر من الغرب . وكان جيش ميثريدياس قد بلغ شرقها ، في ٢٧ مارس من ذلك العام . فأنقضت الكماشتان الروميتان على جيشه ،

ودخلنا الأسكندرية فى مساء ذلك اليوم .

وكانت هذه أول مرة تسقط فيها مدينة الأسكندر الأكبر ، التى سيطر عليها وقتذاك الأغريق البطالمة ، فى أيدى أعدائنا . وقد أعقب انتصار يوليوس سيزار على إغريقها مذبحة كبرى . ذبح فيها الرومانيون عدداً كبيراً من الجنود والأهالي الاغريق . وهرب بطليموس الثالث عشر وأصحابه بأنفسهم فى قارب نيلي . ولكن القارب غرق ، لكثرة من فيه . وقد أمر يوليوس سيزار بالبحث عن جثته ، حتى عشر عليها . فأحضرها الى الاسكندرية ، وعرضها على أهلها .

وأما كليوپطرة ، فقد لازمت قصرها خلال أيام المعركة . ثم تزوجت من شقيقها بطليموس الرابع عشر عقبها . وكان عمره اثنى عشر عاماً . وقد عين له يوليوس سيزار مجلساً للرعاية من بين أتباع كليوپطرة . وثبتهما ملكين على مصر وقبرص . وأعطيا لقب فيلويتر وفيلاديلفوس ، على ما كان يفعل البطالمة . ولكن بطليموس الرابع عشر لم يساهم قط فى حكم مصر ، ولم يوضع اسمه كشقيقته على عملاتها .

وجدير بالذكر أن يوليوس سيزار قد خص يهود فلسطين وسوريا ، الذين ساعدوه على غزو مصر ، بمكافأة كبرى . فأستصدر لهم موافقة السينات الروماني على إطلاق حرياتهم فى مباشرة شعائر ديانتهم ، وإقامة المعابد لها ، وأعاد لهم دولتهم الخاصة ، التى كان القائد الروماني بومبيى قد قضى عليها قبل ذلك بسنوات . وقد أضاف اليها يوليوس سيزار ممراً برياً ، بين هذه الدولة وموانئ البحر الأبيض

المتوسط. وجعل من الزعيمين اليهوديين اللذين أشتركا معه فى قتال
السكندريين ، هيركيتوس وأنتباتر ، أميراً ووزيراً لهذه الدولة اليهودية .
وطبيعي أن كليوپطرة لم تسترح لهذه المكافأة الرومانية لليهود . فقد
كانت تعتبر دولتهم الجديدة جزءاً من امبراطورية البطالمة . ولا يشك
المؤرخون أنها قد حاولت جهدها أثناء يوليوس سيزار عن مكافأتهم بها .
فلما لم تفلح فى محاولاتها ، أذعنت وسكتت .

وكانت كليوپطرة حاملة فى شهرها الثالث أو الرابع من يوليوس
سيزار. ولكن هذا لم يمنعها من مصاحبته ، فى ربيع عام ٤٧ ق م ، فى
رحلة نيلىة كبرى إلى صعيد مصر . والواقع أن هذه الرحلة كانت مهرجاناً
، أو حملة سلمية ، أو دعائية ، إلى هذه المنطقة المصرية الهامة ، والتي
تتميز بحضارتها وتاريخها ومعابدها .

فقد قامت رحلة يوليوس سيزار وكليوپطرة على ٤٠٠ سفينة نيلىة .
وحفلت بكل مظاهر الفخامة والأبهة . وصاحبها أهم رجال الدولة البطلمية
والقواد الرومانيين .

وعندما عادت كليوپطرة ويوليوس سيزار إلى الأسكندرية ، أخذ
الأخير يستعد لترك البلاد . وقد صحب معه عندما سافر منها إلى
سوريا ، فرقة واحدة من فرقه الرومانية الأربعة التى تجمعت بها . وترك
الفرق الثلاثة الأخرى ، مع قائدها العبد الروماني السابق : روفيو ،
لحماية كليوپطرة .

وكانت كليوپطرة قد رأت أن تخلد ذكرى الأيام التى قضاها يوليوس سيزار بالأسكندرية ، ببناء معبد هائل . صممه على الطرازين المصرى والأغريقى ، هو السيزاريوم . ولكن السيزاريوم لم يكن هو ذكرها الوحيدة منه . ففى سبتمبر عام ٤٧ ق م وضعت كليوپطرة ابناً ذكراً أطلقت عليه اسم بطليموس سيزار . وقد أصدرت فى قبرص ، عملة معدنية خاصة ، عليها صورته وصورتها ، وهى ترضعه لبنها .

وواضح أن كليوپطرة لم تشأ أن تخفى عن العالم أسم الأب الحقيقى لابنها . وقد أطلق الأغريق السكندريون على بطليموس سيزار أسم سيزاريون ، أى سيزار الصغير . وسجلت كليوپطرة على بعض معابدها أن بطليموس سيزار (سيزاريون) هو أبن آمون رع كما خالطها فى صورة يوليوس سيزار . ولم يعارض يوليوس سيزار فى حياته فى أبوته له . وقد أكد مارك انطونى للسيئات الروماني بعد ذلك ، أن بطليموس سيزار هو ابن قنصلهم الرومانى يوليوس سيزار . وأنه بالتالى وريثه الوحيد ، وخليفته فى حكم الدولة الرومانية . ولكن السيئات الرومانى لم بقبل الاعتراف به . وعندما ظفر أبن أخ يوليوس سيزار ووريثه الرسمى : أوكتافىوس Octavian بعد ذلك بابن عمه ، قتله ، كما سيجئ . ويلاحظ أن العنف والقسوة كانا يسودان العالم القديم . فلم يكن التخلص من الأعداء والمنافسين عملاً منافياً للأخلاق أو العرف ، كما نطن الآن .

وقد ذهب يوليوس سيزار بعد مبارحته الأسكندرية إلى سوريا . ثم إلى بونتاس . حيث قضى على فتنة ملكها فارناسيس الثاني . وقد هزمه فى معركة سريعة فى زبلا فى أغسطس عام ٤٧ ق م . ونقل يوليوس سيزار للسينات الروماني يومئذ خبر انتصاره بكلماته الشهيرة : حضرت . ونظرت . وانتصرت .

ولم يكد يوليوس سيزار يصل إلى روما فى شهر سبتمبر التالي ، حتى تركها إلى شمالي أفريقيا . ويقال أنه قد أقام خلال هذه الرحلة علاقة حميمة بينه وبين الملكة الميثانية اينوه ، زوجة الملك بروجود . وقد أنتصر يوليوس سيزار فى معركة رأس ديماس ، فى تونس ، فى ابريل عام ٤٦ ق م ، على أبناء ومناصري بومبيي .

ثم عاد يوليوس سيزار فى يولية عام ٤٦ ق م إلى روما . وأحتفل فى نهاية صيف ذلك العام بانتصاراته الكثيرة فى أنحاء حوض البحر الأبيض المتوسط . فأقيمت المهرجانات والأحتفالات . ونقشت ، ورسمت ، الرسوم والصور ، على الأبنية والمعابد . ومثلت انتصاراته الكبرى تمثيلاً واقعياً وكاملاً ، فى الميادين والساحات ، أمام الرومانيين . وفى المسيرة النهائية التى ختمت بها تلك الأحتفالات ، فى أول أكتوبر من ذلك العام ، عرضت النفائس والغنائم التى ظفر بها خلال حروبه . وسار فى هذه المسيرة بعض من أسرهم من الأعداء . وكان من هؤلاء عدد من الأسرى البطالة ، وعلى رأسهم الأميرة البطلمية والملكة السابقة أرسينوه الرابعة . وكانت مكبله بقيود ثقيلة من الذهب . وقد بدت كسيرة الجناح ، واضحة

الحزن والأعياء . حتى عطف عليها الرومانيون ، وطالبوا بالعرف عنها ،
فتفتت إلى معبد أرتيمس في ايفسوس بدلاً من قتلها .

وقد حضرت كليوپطرة ، وزوجها بطليموس الرابع عشر ، وابنها
بطليموس سيزار (سيزاريون) هذه الاحتفالات . وكانوا على رأس بعثة
بطلمية كبيرة ، تركت الاسكندرية إلى روما لهذا الغرض . ووجدت
كليوپطرة بهذه المناسبة ، أن تجد وتقوي علاقاتها بالسيد الجديد في
روما . وقد نزلوا جميعاً في ضيعة يوليوس سيزار الخاصة في لافيكوم ،
على نهر التيبر ، وليس في منزله في روما ، الذي كانت تعيش فيه
زوجته كالبورنيا . ويقال أن كليوپطرة ويوليوس سيزار قد أستأنفا في
تلك الضيعة غرامهما . وتعرفت كليوپطرة خلال زيارتها على كثيرين
من الساسة والقواد الرومانيين ، الذين حاولوا التقرب منها لثقتهم في
علاقتها القوية بيوليوس سيزار .

ولكن كليوپطرة لم تنل في تلك الزيارة اعجاب أو حب الرومانيين ،
وإنما استيائهم وبداية كراحتهم لها . وكان التفات يوليوس سيزار
لمحبوبته ، واضحة ، ومنحه لها الهدايا والألقاب والأقطاعات ، تزيدهم
استياءً وقلقاً . إذ كانوا يخشون طموحاتها السياسية . ويرددون الأقوال
والشائعات عن إنقياد يوليوس سيزار لها ، أو عن تفكيره في نقل
عاصمة حكمه من روما إلى الأسكندرية .

وكان يوليوس سيزار قد أصبح ديكتاتوراً سافراً . ولم يعد يعبأ برأى
أحد من مستشاريه وأصدقائه . وكانت صحته قد ساءت . وأخذت تنتابه

نوبات من الصرع والدوار والغيبوبة . وقد أمر بوضع تمثال لكليوطرة ،
على عادة المصريين القدماء ، وعلى غير عادة الرومانيين ، فى معبد
فينوس الروماني . وأدخل بعض طقوس الآلهة الإسكندري دايونيساس إلى
روما .

اغتيال يوليوس سيزار

ترك يوليوس سيزار روما مرة أخرى ، فى نهاية عام ٤٦ ق م ، إلى أسبانيا . فاستأنف حربه ضد أبناء ومناصري بومبيي . وقد هزمهم فى موندنا فى مارس عام ٤٥ ق م . وعاد فى صيف ذلك العام إلى روما . ويقال أن كليوبطرة قد أنتهزت فرصة تركه لروما ، فعادت الى الأسكندرية ، محملة بهداياه الكثيرة . ولكنها لم تمكث فيها الا أسابيعاً، ثم توجهت مرة أخرى فى روما .

وعندما عاد اليها يوليوس سيزار ، فى شتاء عام ٤٥ ق م ، كانت كليوبطرة بانتظاره . وقد قضيا بعض الوقت معاً فى ضيعته فى جنوبي روما . وهناك وضع يوليوس سيزار وصيته .

ويلاحظ أن يوليوس سيزار كان قد غضب ، منذ أواخر عام ٤٨ ق م ، على نائبه فى حكم روما : مارك أنطوني . وأنه عندما وضع وصيته ، فى عام ٤٥ ق م ، أى بعد غضبه عليه بثلاثة أعوام ، لم يذكره بشئ . بل أوصى بأن يصبح ابن أخيه ، أوكتافىوس ، وريثاً شرعياً له .

وقد ترك يوليوس لاوكتافىوس أيضاً ثلاثة أرباع ثروته . ولم يترك لزوجه كالبورنيا ، ولابنته منها : جوليا ، غير الربع الباقى .

ومع أن كليوبطرة كانت تلازمه خلال هذا الوقت ، فانه لم يترك لأبنته

منها شيئاً ولم يوص له بشئ وقد حير هذا المؤرخون فهل لم يعترف
 يوليوس سيزار - فى نهاية حياته - بأبوته لبطليموس سيزار ؟ وإذا
 كان قد فعل ، فلماذا لم يوص له بشئ ؟
 والواقع أننا لا نعرف شيئاً دقيقاً عن رأى يوليوس سيزار فى
 بطليموس سيزار ولكننا نعلم أن القانون الروماني لم يكن يجيز لغير
 الرومانيين وراثته الرومانيين . ولولا هذا لربما أستطاع يوليوس سيزار أن
 يجعل من أبنه من كليوپطرة ، وريثاً شرعياً له فى حكم روما بدلاً من
 أوكتافيوس .

وقد ذهب يوليوس سيزار وكليوپطرة ، فى بداية الشتاء ، الى روما
 وكانت شائعات كثيرة قد ثارت حولهما . فقد قيل أن يوليوس سيزار
 سيطلق زوجته كالبورنيا ، وأنه سيتزوج من كليوپطرة . وقيل ، بل هو
 سيتقدم للسينات الروماني بمشروع للتصريح له بالزواج من اثنتين !
 وقيل أنه سينقل عاصمة الأمبراطورية الرومانية من روما الى
 الأسكندرية . وأنه سيعيش مع كليوپطرة فيها !

وكان أصدقاء يوليوس سيزار قد أخذوا يعززون ما بدا من
 ديكتاتوريته الى معيشتة الطويلة فى الشرق ! . والى تأثير كليوپطرة
 السئ عليه ! . وذكروا أنه قد أصبح يرفض ، منذ عودته من مصر ،
 الطقوس والعادات الرومانية ، وبجاءه بامتياز الطقوس والعادات
 المصرية ! . وأنه لم يعد يثق أو يجمال النبلاء والقواد الرومانيين ،

وأصدقاءه القدماء ، على ما كان يفعل معهم سابقاً ! .
وطبيعي أن يتأثر الإنسان بما يعايش . وأن يميل إلى الأخذ بما يردده له
خلصاؤه . وقد عاش يوليوس سيزار سنوات ، وهو يحارب فى الشرق .
وعرف كليوبطرة وعاشرها سنوات طويلة . ولا يغفل الملاحظ ، أن
يوليوس سيزار ، كان قد بدأ يبني فى شمالي ايطاليا ، قنوات ري ،
كالتى شاهدها فى مصر . وأنه عندما زار المنطقة الواقعة بين البحرين
الأيوني والأدرياتيكى فى اليونان ، أمر بأن يشق خلالها قناة بحرية
كبيرة ، على غرار القنوات التى ربطت فى مصر بين مياه البحرين
الأبيض والأحمر .

وليس من شك أن مكتبة الاسكندرية كانت فى خاطره ، عندما أمر
المهندس الروماني فارو ، بأن يبني فى روما مكتبتها الجديدة . وأن
التقويم المصرى القديم المعتمد على السنة الشمسية ، كان قد حظى
باعجابه ، حتى أمر الرومانيين بأن يتركوا تقويمهم القديم ، المعتمد على
القمر ، وأن يتبعوه .

وكان يوليوس سيزار على نية ترك روما فى ١٨ مارس عام ٤٤ ق م ،
لقيادة حملته المقبلة على البارثينيين . ولكن أشراف روما ، وقواد الجيش
الروماني ، وأصدق أصدقائه ، كانوا يخشون أنه اذا تركها فلن يعود
اليها . إذ لم يعودوا يطمثون الى تصرفاته ، والى جانبه تلك المرأة
الاغريقية الطموحة الشريرة التى أبعدته عنهم : كليوبطرة ! .

وقد تواترت فى أنحاء روما شائعات ، عن مؤامرة واسعة ، تدبر لأغتيال يوليوس سيزار . والغريب أن هذه المؤامرة لم يكن يدبرها أعداؤه ، وأما أهم خالصاته وأصدقائه . وقد حدد السينات الروماني جلسة خاصة ، قبل ثلاثة أيام من سفر يوليوس سيزار ، أى فى ١٥ مارس ، لبحث حقيقة هذه الشائعات ، ومناقشة خطط يوليوس سيزار المقبلة .

وفى صباح ذلك اليوم ، كان سيزار متوعداً ، وكان يجب ألا يبارح يبقى فى قصره . ولكنه لم يشأ أن يتخلف عن اجتماع السينات . وقد حضر اليه فى قصره عدد من أصدقائه ، كى يصحبوه اليه . فسار معهم يوليوس سيزار إلى مكان الاجتماع ، متبسطاً ومتضحكاً . ولكن صديقاً قديماً اعترضه ، وحاول أن يحذره مما سيجري له . وقد أراحه يوليوس سيزار عن طريقه بيده ، ولم يستمع إلى كلماته .

وعند قاعة الاجتماع ، تقدم منه أحد المتآمرين ، تيليوس سيمبر ، بعريضة . ولكن يوليوس سيزار أراحها بيده أيضاً . ومع ذلك ، لم يبتعد تيليوس سيمبر عنه . وقد جذبه من سرواله ، محاولاً أن يلقيه على الأرض . ثم تقدم منه صديقه كازيوس ، فضربه بخنجره الطعنة الأولى . ثم طعنه صديقه الآخر كاسكا بخنجره طعنة ثانية ، فى رقبته . ثم توالى الطعنات فى جميع أجزاء جسمه . وقد ختمها كازيوس بطعنة بين فخذه . والأخير طعنه بروتس ، وكان من أعز أصدقائه ، فى وجهه .

وربما دهش يوليوس سيزار ، ولم يفهم قط ، أسباب انقلاب أصدقائه ، عن ظن أنهم يحبونه ، عليه . والثابت أنه لم يحاول الدفاع عن نفسه .

وقد ذكر لبروتس ، عندما وجد اليه طعنته ، كلماته الشهيرة : حتى أنت يا بروتس ! . ثم وقع على الأرض . وكان قد أصيب بثلاثة وعشرين طعنة كبرى .

والواقع أن أصدقاء يوليوس سيزار ، الذين شاركوه مسيرته وكفاحه الطويلين ، ثم قتلوه ، لم يكونوا يكرهونه . وإنما هم قد أحبوا روما . وأخلصوا للأمباطورية الرومانية الصاعدة . بأكثر مما أحبوا صديقهم الذى استبد بها ! .

الصراع بين خلفاء يوليوس سيزار

عندما قتل يوليوس سيزار ، أسرعت كليوپطرة بترك روما إلى الأسكندرية . ويقول شيشيرون : أن حزنها عليه كان كبيراً . وأنها تلتقت على مملكتها . وأن هذا الحزن ، وذلك القلق ، قد أديا إلى أن تفقد حملها الثاني منه ! .

والجدير بالذكر ، أنه عند نهاية ذلك العام ، ٤٤ ق م ، أختفى زوجها بطليموس الرابع عشر من الاسكندرية . وقيل أنه مات . وقد ذكر المؤرخ اليهودي جوزيفوس Josephus أن كليوپطرة قد قتلتها بالسم ! . ولكن هذا إتهام مشكوك فى صحته . إذ أن التنافس والعداوة كانتا قويتين بين كليوپطرة ويهود فلسطين وسوريا كما أشرنا .

ومهما كان الأمر ، فإن كليوپطرة قد اختارت ، منذ عام ٣٧ ق م ، وليدها ، بطليموس سيزار ، ملكاً معها على مصر . وأطلقت عليه أسمى ثيوس وفيلوموتور (المحب لأمه) . وأنفردت هى بالحكم .

ويلاحظ أن كليوپطرة قد صورت نفسها ، وليدها ، بطليموس سيزار ، خلال هذه السنوات الأولى لولادته ، على نحو ما كان يفعل الفراعنة ، على جدران المعابد المصرية القديمة . وأنها قد اختارت لهذا الغرض جدران معبد هاتور بالذات . فصورت «هاتور» تلك البقرة

المقدسة، وهى ترضع وليدين . أحدهما حوراس ، والثانى بطليموس سيزار . وصورت نفسها فى معابد رع ، فى صورة أم ذلك الآله «الشمس» وهى تبزغ على صورة وليدها ، فى هيئة جعران مقدس .

وحوراس هو ابن إيزيس من أوزيريس ، الذى حاول أن ينتقم لمقتل والده. فهل أرادت كليوبطرة أن تقول أن على بطليموس سيزار أن ينتقم لمقتل والده يوليوس سيزار ؟

لقد تصور بعض المؤرخين ، أنه كان فى موقفها هذا تعريضاً بأوكتافىوس ، الذى قد أخذ على عاتقه مهمة الانتقام لعمه ومورثه : يوليوس سيزار .

وكانت خلافة يوليوس سيزار فى حكم الامبراطورة الرومانية ، قد انحصرت فى اثنين : الأول هو نائبه مارك أنطوني . وكان مغضوباً عليه كما ذكرنا منذ عام ٤٨ ق م . ولكنه ظل محتفظاً بمنصب نائب القنصل . كما أن يوليوس سيزار كان - كما قيل - قد أخذ يرضى عنه قبيل اغتياله .

والثانى هو وريث يوليوس سيزار الشرعى : أوكتافىوس . وكان صبياً، لم يبلغ العشرين من عمره . ولم يزل يتابع تعليمه فى أكاديمية عسكرية فى أبولونيا (الآن فى البانيا) . وقد سارع إلى إيطاليا بعد اغتيال يوليوس سيزار . وأخذ يعتمد ، بقدر متزايد ، وكفاءة كبيرة ، على خالصاء وجنود عمه ومورثه . حتى أستطاع فى الخريف التالى ، ٤٣

ق م ، أن يقف نداً لمارك أنطوني . وأن يضطره إلى ترك إيطاليا ،
والأنسحاب إلى فرنسا .

وأما قتلة يوليوس سيزار ، وعلى رأسهم بروتس وكازيوس ، فقد
تركوا روما إلى البلدان الشرقية . وأخذوا يحشدون الجنود والأتباع
للصراع القادم على مصير الأمبراطورية الرومانية . وقد ذهب كازيوس
إلى سوريا ، وحاول أن ينتزع الحكم هناك من القائد الروماني : دولابيلا .
وقد أستنجد كل منهما بقواد وحكام الشرق ، ومنهم كليوپطرة .

وقدورت كليوپطرة أن واجبها هو أن تساعد دولابيلا ، الذي كان يعمل
على الانتقام من قتلة يوليوس سيزار ، وليس كازيوس ، أحد قتلته .
فسمحت للفرق الرومانية المعسكرة بالأسكندرية ، بقيادة أليينيس ، بتركها
والانضمام لدولابيلا .

ولكن كازيوس هزم دولابيلا في لاتيكا في عام ٤٣ ق م . وقتل
دولابيلا نفسه بعد هزيمته . وعندما بلغ أليينيس وفرقه الرومانية تلك
البلاد ، ووجدها تحت السيطرة الكاملة لكازيوس ، اضطر للانضمام اليه .
وقد عرض هذا كليوپطرة لموقف لا تحسد عليه . فان نياتها ضد
كازيوس كانت قد وضحت له ، قبل أن تتحرك الفرق الرومانية من
الأسكندرية . وهامى الآن تخسر وجهها أمام ورثة يوليوس سيزار ، بعد
انضمام أليينيس إلى أعدائهم ! .

وجدير بالذكر ، أن سيرايبون ، حاكم مصر في قبرص ، كان قد أنضم
منذ بداية الصراع لكازيوس . بل أن أكثر أقطار الشرق ، كانت قد

انضمت إليه ، أو إلى حليفه بروتس . وقد أخذ كازيوس يعد جيشاً كبيراً لغزو مصر ، لا شك بنية القضاء على كليوبطرة . ووجدت شقيقتها أرسينوه ، الملكة السابقة على مصر ، أن الفرصة قد واتتها لمحاولة إستعادة عرشها . فأعلنت تأييدها لكازيوس وبروتس . وأخذ كبير كهنة معبد أرتيمس في إيفسوس يلقيها علانية بأسم ملكة مصر .
ولكن الظروف وحدها ، أنقذت كليوبطرة من حيرتها ..

فان مارك أنطوني وأوكثافيوس توصلا إلى اتفاق . أنتهيا فيه ، مع غريمهما الثالث ليبيدس Lepidis إلى تأليف تحالف ثلاثي « تريفيرا » يحكم الإمبراطورية الرومانية مدة ٥ سنوات . وقد تزوج أوكثافيوس ، كعريون لهذا الاتفاق الجديد ، من ابنة زوجة مارك أنطوني : كلوديا Claudia . وأخذ الثلاثة : مارك أنطوني ، وأوكثافيوس ، ولبيدس ، يحشدون قواتهم للقضاء على قتلة يوليوس سيزار في الشرق .

وقد أحس بروتس ، في شرقي اليونان ، بكل ما جرى في الغرب ، فأرسل يستدعى إليه على وجه السرعة كازيوس وجنوده . وقد اجتمع الجيشان في سميرنا (الآن أزمير في تركيا) قبل نهاية عام ٤٣ ق م . وترك كازيوس مشروع غزوه لمصر . وأخذ يطالب ، هو وبروتس ، كليوبطرة بأن تقدم لهما كل ما تستطيع من مساعدة .

وقد حاولت كليوبطرة أن تتعلل بارتفاع فيضان النيل ، الذي أدى إلى قحط شديد في مصر ، خلال عامي ٤٢ و ٤١ ق م . وردت على كازيوس بأن مملكتها في مجاعة وفقر ، تجعلها عاجزة عن تقديم

مساعداتها اليهما . ووعدته رغم هذا بفعل كل ما تستطيع .
 وكان كازيوس قد سمع أن كليوپطرة تعد أسطولاً ضخماً ، تنوي
 إرساله إلى «ترميميرا» مارك انطوني وأوكتافيوس وليبيدس . وقد حاول
 أن يمنع وصول هذا الاسطول لأيطاليا . فأرسل قائده موركوس ، على
 رأس ٦٠ سفينة حربية ، إلى طرف اليونان الجنوبي ، للقضاء عليه عند
 مروره بها .

ولكن الأسطول الذى أعدته كليوپطرة ، وخرجت على رأسه ، لم يكد
 يترك سواحل مصر الشمالية ، حتى هبت عليه عاصفة هوجاء ، قضت
 عليه ، وأصابته كليوپطرة بالمرض . فعادت مع ما بقي منه إلى
 الأسكندرية . ويقال أنها قد أخذت تعد فور عودتها أسطولاً آخر تعيد
 به محاولتها .

ويقول بعض المؤرخين ، ان الحقيقة هى أن كليوپطرة كانت فى حيرة
 من أمرها ، ولا تعرف تماماً أى جانب يتحتم عليها أن تساعد . وأن
 خروجها ، وأصابة أسطولها ، ثم عودتها مريضة ، ومحاولتها بناء
 أسطول جديد ، كانت كلها «تمثيل فى تمثيل» أرادت به كسب الوقت ،
 وتحديد الموقف الذى تتخذه . ومع استطاعتها القول ، فى النهاية ،
 بأنها كانت تنوى مساعدة هذا الطرف أو ذلك ! .

سيادة مارك أنطوني على الامبراطورية الشرقية

فى ٤ اكتوبر عام ٤٢ ق م ، دارت فى فيليبيا باليونان ، المعركة الفاصلة المنتظرة ، والتي قررت مصير الامبراطورية الرومانية . وقد أستطاعت جيوش مارك أنطوني وأوكتافيوس أن تقضى فيها على جيش كازيوس وبروتس . وفى أثرها قتل القائدان المهزومان نفسيهما .

وأما مارك انطونى وأوكتافيوس ، فقد حرما ، بعد انتصارهما فى تلك المعركة ، شريكهما الثالث ليبيدس ، من الحكم . فذهب ليبيدس إلى صقلية ، حيث أنضم اليه هناك سيكتس بومبياس Pompeius ابن القائد الروماني بومبيي ، الذى سبق أن اختلف مع يوليوس سيزار . وقد أخذ ليبيدس وبومبياس يقاومان معاً جيوش وأساطيل أوكتافيوس سنوات طويلة تالية .

وكان مارك أنطوني نبيلاً رومانياً ، تجاوز الأربعين من عمره . ومن عائلة شريفة ، وإن كانت قليلة الثراء . وكان جده خطيباً رومانياً شهيراً . ووالده قائداً عسكرياً رومانياً . وقد عمل مارك أنطوني كنائب قنصل ليوليوس سيزار سنوات . ثم علا نجمه بعد معركة فيليبيا . فقد كان ناضجاً ، ومجرباً ، ومحبراً . وألنف حوله أصدقاء وأنصار كثيرون . وآزره الرومانيون عامة . وعاضده السينات تعضيداً يكاد أن يكون

كاملاً. وأصبح أمل روما الجديد ، فى بناء امبراطورية كبرى ، تهزم البارثينيين ، وتتفوق على امبراطورية الأسكندر الأكبر القديمة .
وأما أوكتافىوس ، حليف مارك أنطوني ، فكان شاباً فى ضعيف الجسم ، قليل التجربة . ولم يكن يتمتع بميزة أخرى ، إلى جانب الأسم والأثر اللذين تركهما له يوليوس سيزار . فلم يكن الرومانيون يرجون من ورائه آمالاً واسعة . ومع ذلك ، فقد عاش أوكتافىوس حوالى ٦٠ عاماً .
وأصبح أول وأعظم قياصرة روما . وحقق من النجاحات والأحلام ما لم يتوقعه أحد .

وقد قسم مارك أنطوني وأوكتافىوس الإمبراطورية الرومانية بينهما . فأختار الأول النصف الشرقي منها ، أى المستعمرات والممالك المتحالفة فى اليونان وآسيا الصغرى وسوريا ومصر . وأختار الثاني النصف الغربي منها ، أى فرنسا وإسبانيا وشمالى إفريقيا . وقد بقيت إيطاليا مركزاً وقاعدة مشتركة للحليفين . إذ كان ، كلاهما ، يحتاجان إليها لتجنيد الجنود ، ثم اعاشتهم عند تقاعدهم فى أراضيها .

وقد قضى مارك أنطوني شتاء عام ٤٢ / ٤١ ق م فى مقدونيا . وكان يميل بطبعه للحياة الأغريقية . فأنفق وقته هناك فى حضور الاحتفالات والمهرجانات ، والتناقش مع الفلاسفة والأدباء . وقد ذهب فى بداية عام ٤١ ق م الى إيفسوس ، حيث كلل نفسه «دايونيساس» جديد . وأصبح رباً هيلينياً ، يقابل الرب باخوس الروماني ، ويمثل الفتح والسعادة

والخلود . ويقال أنه قد وقع ، أثناء مقامه فى اليونان ، فى غرام أميرة جلافيرا ، والدة أرخيلوس سيسينز ، وقد نصبها ملكة على بلادها ! .

ولكن مارك أنطوني كان يحتاج ، بعد قتاله لكازيوس وبروتوس ، وللأستعداد لقتال البارثينيين ، الى مال . وقد أخذ يوقع العقوبات والغرامات على الأقطار التى ساعدت غريميه السابقين . ولما كان موقف كليوبطرة أثناء ذلك القتال ، غامضاً نوعاً ما . فقد دعاها لملاقاته فى طرسوس ، لمحاولة تفسير ذلك الموقف ، وبحث المساعدات التى تستطيع أن تقدمها له فى حربه القادمة . وجدير بالذكر أن الرسول الذى أختاره مارك أنطوني للذهاب إلى كليوبطرة فى الأسكندرية ، كان صديقه ومؤرخه : كونتيس ديلفوس . ويقال أنه كان بينهما علاقة شاذة ! .

وقد كتب بلوتارخ فى وصف مارك أنطوني : أنه كان فى مظهره ... «وقار . فلحيته كانت مشدبة . وجهته عريضة . وأنفه رومانية مقوسة . وكانت هذه الصفات ، عندما تجتمع معاً ، تعطيه منظراً رجولياً . حتى قد يخيل للناظر أنه الآله هرقل ذاته . والحقيقة هى أن أقاويل كثيرة كانت تربط بين أجداده وبين ذلك الآله الروماني . وكان مارك أنطوني يحب أن يقال له انه يشبه فى صورته ذلك الآله . وكان يحاول أن يقوي ذلك الانطباع فى نفس من يراه ، بالطريقة التى يتخذها فى لباسه . إذ كلما ظهر أمام الناس ، ضم عباءته الواسعة حول وسطه . ودلى منها سيفاً كبيراً وخنجراً ثقيلاً . والحقيقة هى أن هذه المظاهر ذاتها ، هى التى كانت تنقص من قدره عند خاصة الرومانيين . فيرون فى روحه تعظماً .

وفى حديثه تفاخراً . وفى لفته الحميمة مع من حوله سرقية . وفى جلوسه مع رجاله فى طعامهم ولهوهم تجاوزاً . وفى إزداده للطعام وهو واقف خفة . ومع ذلك ، فإن هذه الصفات غير المتكلفة ذاتها ، هى التى كانت تقربه من رجاله . فيسعدون به وسطهم ، ويزدادون له حباً .

وقد أخذ على مارك أنطوني ، بالإضافة إلى البساطة التى تحدثنا عنها ، مرحة ، وسخريته أحياناً من نفسه . وكذلك عجزه «السيكلوجى» عن فهم طبائع بعض من يقابلهم . و «كسله عن النهوض واغتنام المواقف ، مما ضيع عليه فرصاً كثيرة» .

كذلك ذكر شيشيرون أن مارك أنطوني كان كثيراً ما يفرط فى الشراب . و «يحيل جلساته إلى مساخرة» . وأنه وإن كان قد أشتهر بالشذوذ فى شبابه ، فقد اتجه بعد ذلك الى النساء . و «لم يكن يشبع منهن قط» ! .

وكتب بلوتارخ :

«ان ضعفه تجاه الجنس الآخر ، كان أحد مظاهر الجاذبية فى شخصيته ، بل أنه كان يكسبه قلوب الكثيرين حوله . حتى ان أصدقاءه كانوا كثيراً ما يستشيرونه فى مشاكلهم العاطفية الخاصة . فيقبل على محادثتهم فيها عن طيب خاطر ، ويمارحهم حولها . وليس من شك أنه كان فاهماً ومتمرساً لهذه المسائل . وأنه لم يكن يهتم للنتائج التى قد تؤديها مواقفه منها . وإنما كان يترك للطبيعة أن تأخذ مجراها . ولا ينظر خلفه إلى الخراب العائلى الذى قد يكون قد سببه» .

اجتماع كليوبطرة ومارك أنطوني في طرسوس

لم تسرع كليوبطرة بالسفر لمقابلة مارك أنطوني في طرسوس . واما أنفقت بعض الوقت في التفكير والاستعداد . ثم أستقلت سفينة فخمة من الأسكندرية «وفي ليتها أن تثبت لمارك أنطوني صلاحيتها كملكة ، باقناعه بامتيازها كأمرأة .

« كانت كليوبطرة تعتمد قبل كل شئ على حضورها الجسدي . وعلى السحر والأجذاب اللذين لا تخفق في اشعال نيرانهما فيما حولها . وقد دخلت ميناء طرسوس مستقلة سفينة رائعة . والرياح تتلاعب بأشرعتها . بينما المجدفون يحركون مجاديفهم الفضية علي موسيقى الفلوت . يصاحبها الأبواق واللوت . وكليوبطرة مستلقية تحت مظلة ذهبية ، في لباس الربة الأغريقية فينوس (أفروديت عند الرومان) كما تعرفها الرسوم . وقد وقف الي جانبيها صبيان ، متزيين في صورة كيوييد . ويحركان مراوحهما الكبيرة فوق رأسها بانتظام . ولم يكن على ظهر السفينة بحار واحد . وانما أمثال القارب عن آخره بسيدات البلاط البطلمي . وقد تزين في صور الآلهة . وأمسك بعضهم بدفة السفينة . وتعهدت الأخريات الأشرعة . وقد فاح في الجو رائحة عطر نفاذ أفصح عن اقتراب السفينة ، وتخلل الحواس ، وهى بعد بعيدة .

« وكان يحيط بسفينة كليوباترة كوكبة من السفن الأخرى البطلمية . التي كانت تتهادى حولها ، أمام الجموع الغفيرة التي زحمت شاطئ النهر ، من مصبه إلى المدينة . حتى خلت الأسواق من الناس . ووجد مارك أنطوني نفسه وحيداً ، بعد أن تركه أصدقاؤه لأستقبال القافلة المقبلة عليهم . وتناقل الناس ان فينوس قد وصلت ، كى تنعم مع دايونيساس بالسعادة ، التي ستشرق على أنحاء آسيا » .
ويتابع بلوتارخ حديثه ، فيقول :

« ثم أرسل مارك أنطوني رسالة إلى كليوباترة يدعورها فيها إلى الطعام معه . ولكنها ردت أن من المناسب ، وقد قطعت اليه هذه الرحلة الطويلة ، أن يأتي هو إليها . ولما كان مارك أنطوني حريصاً على إظهار جمال خلقه ، وحسن نياته ، فقد قبل على الفور . وذهب هو إليها . وقد وجد أن الاستعدادات التي أقيمت للأحتفال به كانت عظيمة . وأكثر مما يستطيع انسان أن يصفها . ولكن ما أدهشه أكثر من أى شيء آخر ، هو الأنوار التي امتلأت بها قاعة الطعام . فقد كانت كثيرة . وقد تدلت من السقوف ومن الجوانب فى آن واحد . وقد تفرقت وتجمعت فى نظم وأشكال مختلفة . فبعضها مستدير ، وبعضها مربع . وقد كونت فى مجموعها منظراً رائعاً ، أدهش كل من رآها » .

وقد ذكر المؤرخ الأغريقي سقراط الروديسي Socrates of Rhodes فى وصف وليمة كليوباترة لمارك أنطوني « ان الأطباق وأدوات المائدة كانت كلها من الذهب الخالص » . وأن جدران قاعة الطعام كانت

«محللة بلوحات وخيوط من الذهب والفضة». وقال أنه : عندما ألقى
مارك أنطوني نظره على الموائد الاثني عشر التي أعدت له ولأصحابه ،
أبدى دهشته لكليوبطرة من فخامتها وذوقها الرفيع . فأجابته : ان كل
ما تراه هدية مني إليك ! .

« وقد دعت كليوبطرة للعشاء معها مرة أخرى في اليوم التالي .
ودعت معه أصدقاءه وضباطه . ولكن الوليمة الأولى بدت تافهة إلي
جانب الوليمة الثانية . ومرة أخرى ، أهدت كليوبطرة كل ما على الموائد
للحاضرين . وخصت كل ضابط من ضباط مارك أنطوني بالسادة التي
جلس عليها . وكل ضابط من ضباطه الكبار ، بحصان فوقه سرج من
الفضة . ثم أرسلت لبعض ضيوفها عدداً من العبيد الأثيوبيين . ولكل من
الباقين تالنتاً ، كي يشتروا به زهوراً لأنفسهم » .
يقول بلوتارخ :

« وفي اليوم التالي ، رد مارك أنطوني لكليوبطرة حفائرتها . فأقام لها
حفلاً رائعاً . ومع أنه قد أراد أن ييزها بفخامته وجماله ، فانه لم يوفق في
غرضه . وكان هو نفسه أول الساخرين من عجزه وقلة حيلته . وقد ردت
كليوبطرة عليه بأنه يبالغ في سخريته . وأن كلماته قد نمت عن شدة
الجندي فيه ، وليس عن فصاحة الدباماسي . ثم جازته في طريقته .
وأنطلقت تعامله في حرية ، ومن دون تحفظ » .

وهكذا أسرت فينوس / أفروديت (كليوبطرة) من يومها الأول
دايونيساس (مارك أنطوني) . «وأشرق شمس جديدة ، ومعها السعادة

الكاملة» كما قال بلوتارخ «على انحاء آسيا» ! .

وكانت فولفيا Fulvia زوجة مارك أنطوني الثالثة . وكان هو زوجها الثالث . بعد أن توفيت زوجته ، وزوجها ، السابقون . وكانت سيدة رومانية جميلة تحسن ادارة منزلها ، وتتعهد أمور زوجها فى روما بمعرفة واقتدار . وقد قيل أن فولفيا ، كانت أول امرأة رومانية تلعب دوراً سياسياً سافراً ، على مسرح الأحداث السياسية فى روما . وأنها كانت أول من وضع صورتها من النساء على النقود الرومانية .

ولكن بلوتارخ ، قسا على فولفيا (كما قسا على كليوبطرا) قسوة شديدة . فقال انه «لم يكن فيها شئ أنثوي سوى جسدها» ! . وقال انها لم تكن تهتم بالغزل ، وبشئون النساء الأخرى . «ولم يكن ينتظر منها أن تكون زوجة لرجل لا يعمل بالأعمال العامة ، أو لا ينشغل بأمر الحكم» . إلى أن يقول :

«والحقيقة أن كليوبطرا كانت مدينة لفولفيا ، لتعويدها لأنطوني احترام سلطات زوجته . وأنه عندما قابل كليوبطرا ، كان قد اعتاد هذه الطريقة من فولفيا ، وتعلم منها الاستماع إلى ما تقول» ! .

وأما شيشيرون ، فيدافع عن فولفيا دفاعاً حاراً . ويقول أنها قد عاشت لزوجها كالراهبة . وأنه ظل يتصيد أخطاءها . ولكن (يتساءل شيشيرون) كيف يمكن لامرأة عاشت حياتها ، أن تتحرر عن كل خطيئة ، إلى جانب ما فيها من محاسن ؟ ! .

ولادة توأمي كليوپطرة من مارك أنطوني

عكست العلاقة الجديدة ، بين كليوپطرة ومارك أنطوني ، ظلالها على المصالح السياسية والاقتصادية بينهما . وأتفق الاثنان ، على أن تقدم كليوپطرة لمارك أنطوني ، كل ما تستطيعه من أموال . وأن تبني له السفن التي يحتاجها بالأسكندرية ، استعداداً لغزوه القادم لمملكة البارثينيين . ووافقها مارك أنطوني على ضرورة التخلص من شقيقتها أرسينوه . ولكنه أعترض على ضم مملكة اليهود في فلسطين إلى مملكتها البطلمية .

وقد أمر مارك أنطوني بأعدام أرسينوه ، ومعها كبير كهنة معبد أرتيمس في إيفسوس . الذي كان قد هجراً ، كما ذكرنا ، فلقب أرسينوه بأسم ملكة مصر . ولكن لما سمع أبناء إيفسوس بخبر اعدام كبير كهنتهم ، أرسلوا وفداً كبيراً إلى مارك أنطوني أستطاع في النهاية أن ينقذ حياة هذا الكاهن . من دون أن يستطيع الوفد أن يفعل شيئاً لأرسينوه .

كذلك قتل مارك أنطوني حاكم قبرص ، سيرابيون ، الذي كان قد لجأ إلى صور . وأمر بأن يعدم معه أحد أبناء مدينة أرفد السورية . وكان قد ادعى أنه بطليموس الثالث عشر ، وأنه لم يغرق في النيل . أو أنه غرق ،

ثم عاد إلى الحياة بعد غرقه ! .

وقد جعل مارك أنطوني من الأمير اليهودي هاريكاتوس ، ملكاً لليهود ، بأسم هاريكاتوس الثانى . وعين ابنى أنتيباتر (الذى كان قد مات) فاسيال وهيرود ، أميرين ، و نائبين للملك اليهودي فى القدس والخليل على التوالي .

وفى شتاء عام ٤١ / ٤٠ ق م ، زار مارك أنطوني الأسكندرية . وقد نزل المدينة (على عكس يوليوس سيزار فى عام ٤٨ ق م) كفرد عادي ، ومن دون حاشية أو جنود . وأعلن دخوله اليها كمواطن روماني صديق ، فى ضيافة ملكة بطلمية مستقلة . وكانت ذكراه السابقة حسنة . إذ أنه لما زارها قبل هذا بأربعة عشر عاماً ، كان قد ساعد على العفو عن الأسرى البطلميين الذين وقعوا فى أسر يوليوس سيزار .

ويظن شكسبير أن سعادة كليوپطرة خلال زيارة مارك أنطوني للأسكندرية «لم تكن مكتملة» . ويقول أن شبح زوجته فولفيا ، فى روما ، كان يخيم عليها ! . وليس هناك دليلاً واحداً على هذا الظن . فأن من يتابع سيرة كليوپطرة ، يجد نفسه أمام امرأة حكيمة ، يسيطر فيها العقل على الجسد والعواطف . وقد كانت تعلم أن رجلاً مثل مارك أنطوني ، لم يكن يستطيع الزواج بغير رومانية . وأنه اذا فعل غير هذا ، فإء لن يستطيع الاحتفاظ بمركزه ، أو العودة بعد ذلك إلى روما . وهو ما لم تكن تقبله منه كليوپطرة «فى هذا الوقت» . وعلى العكس ، ليس

أسرة كليوپطرة

كليوپطرة ٥ بطليموس ١٢ نبوس
 تريفينا = دايونيساس
 أوليتيس

٥٨ / ٨٠)

٥٥ / ٥١ (م م)

|| || || || ||

كليوپطرة ٦ بربنس ٤ أرسينوه ٤ بطليموس ١٣ بطليموس ١٤
 تريفينا (٥٨ / ٥٥ م) (٤٨ / ٤٧ م) (٥١ / ٤٧ م) (٤٧ / ٤٤ م) (٥٨ / ٥٧ م)

كليوپطرة ٧

بوليس سيزار (٥١ / ٤٩ م) ——— مارك أنطوني
 (٤٨ / ٣٠ م)

|| || || ||

بطليموس سيزار ألكسندر كليوس كليوپطرة سيليج بطليموس فيلاوليفوس
 (٣٠ / م) (٤٠ / ٣ م) (٤٠ م / ؟) (٣٦ م / ؟)

أدل على صفاء الجور بينهما ، من أن كليوپطرة قد حملت من مارك أنطوني خلال هذه الزيارة فى توأميها الأولين منه ! .

وفى فبراير عام ٤٠ ق م ، جاءت مارك أنطوني الأخبار ، أن البارثيين الذين كان ينوي مهاجمة امبراطوريتهم ، لم ينتظروا هجومه . وأنهم لما وجدوا فلول قوات كازيوس وبروتس الرومانية ، التى قاومت يوليوس سيزار ، قد أنضمت اليهم . هاجم ابن ملك بارثيا أوروديس ، والمسمى باكوراس ، المقاطعات الرومانية فى سوريا . وتقدم جيش كبير آخر لهم ، وعلى رأسه القائد الروماني السابق لايبباس ، الى آسيا الصغرى .

وقد أسرع مارك أنطوني الى سوريا . فوجد الأحوال فيها سيئة ، والبارثيين يتقدمون فى أنحائها . والأغريق والآسيويون يرحبون بهم . وذهب الى آسيا الصغرى . فسمع أخباراً أخرى أشد ازعاجاً . فأن زوجته ، فولفيا ، وشقيقه ، لوشيبوس ، قد طالبا أوكتافيوس بأن يسلمهما أرضاً لمائة ألف جندي مسرح من جنود مارك أنطوني . فلما ماظلهما ، دبرا انقلاباً ضده . ولكن الانقلاب فشل . وهزم جيشهما عند بورجيا ، فى شمالي إيطاليا . وهربت زوجة مارك أنطوني ، فولفيا ، إلى الشرق . ووقع شقيقه ، لوشيبوس ، فى أيدي قوات أوكتافيوس .

فترك مارك أنطوني ميدان القتال فى آسيا الصغرى ، وذهب لملاقاة زوجته فولفيا فى أثينا . وقد لامها بشدة على عملها . حتى مرضت . وتركته إلى سكيون . حيث ماتت هناك .

وأما مارك أنطوني ، فقد ذهب الى إيطاليا ، وتزعّم جنوده فى مقاتلة

جنود أوكتافيوس . ثم تصالح معه فى أكتوبر من ذلك العام . وعقدا معاً معاهدة برنديزى ، التى نصت على استمرار تعاونهما فى حكم الأمبراطورية الرومانية خمسة أعوام أخرى . وكللا هذا الاتفاق بزواج مارك أنطوني من أوكتافيوس ، شقيقة أوكتافيوس وكان لها من زوجها الأول، الذى لم يكن قد انقضى على وفاته سوى ثلاثة شهور ، ثلاثة أبناء . وقد أقتضى الأمر استصدار استثناء روماني لها بالزواج من مارك أنطوني ، قبل انقضاء وقت كاف على وفاة زوجها الأول .

وكانت أوكتافيا صغيرة ، وجميلة ، ومحبة للعلماء والفلاسفة . وقيل أنها كانت تلميذة للفيلسوف والرياضي الروماني فيتروفياس Vitruvius وصديقة للفيلسوف والسياسي والشاعر ميساناس Messanas . وقد نظم ميساناس ، بمناسبة هذا الزواج ، قصيدة شهيرة ، أمتدح فيها شعر أوكتافيا «الطبيعى» . معرضاً فى قصيدته بالشعر المستعار الذى أشتهرت به غريمته فى حب مارك أنطوني : كليوپطرة ! .

وبلاحظ أن مارك أنطوني لم ير كليوپطرة طوال السنوات الثلاثة التالية ، أى حتى عام ٣٧ ق م . ولكنها لما أستشعرت غيابه ، أرسلت له أحد منجميها ، لأسداء نصائح ، أو نصائح كليوپطرة ، إليه . وكانت كليوپطرة قد وضعت ، فى نهاية عام ٤٠ ق م ، توأمين . أعلنت للملأ أنهما إبنا مارك أنطوني . وقد أسمتهما : الكسندر هليوس (الشمس) وكليوپطرة سيلين (القمر) . والشمس هى صورة الآله رع ، كبير آلهة مصر ، وأب الفراعنة . وكان الاغريق يقولون أن الشمس والقمر توأمان . ويتفائلون بهما فى الحروب .

انفصال مارك أنطوني وأوكتافيا

دخل البارثينيون سوريا وفلسطين في عام ٤٠ ق م ، واحتلوا مملكة اليهود . ونحوا الملك اليهودي هيركاتوس الثاني ، ونائبه فاسيال وهيرود . وقد قتل النائب الأول ، فاسيال . وهرب الثاني ، هيرود ، إلى مصر . ثم ولى البارثينيون انتيجوناس ملكاً على اليهود . وحاولوا استمالة كليوبطرة ، فأرسلوا إليها الرسل الذين وعدوها وعوداً مختلفة . ولكن كليوبطرة رفضت كل تعاون معهم . وأستقبلت هيرود في الأسكندرية ، بعد نفيه من فلسطين ، أحسن استقبال . وكان في الثلاثين من عمره . جميلاً . وبافعاً . ويلاحظ أنها كانت في مثل عمره . وقد عرضت عليه أن يصبح أحد قواد جيشها . ولكنه فضل الذهاب إلى روما ، لأستنفاز الرومانيين لمساعدته . وقد أعطته كليوبطرة سفينة حربية ، أستقلها حتى جزيرة رودس . ثم تركها ، وأتخذ طريقه إلى العاصمة الرومانية بسفينة أخرى . وهناك ثبته مارك أنطوني ملكاً على اليهودية . ووعده بأن يستعيد له مملكته من البارثينيين .

وفى ربيع عام ٣٩ ق م ، أغار البومبيون ، وعلى رأسهم سيكتس بومبياس ، على جزيرتي سردينيا وصقلية ، واحتلوهما . وكانت صقلية

وقتها أحد المصادر الرئيسية للقمح الروماني . وقد حاول مارك أنطوني وأوكتافيوس أن يهادنا بومبياس ، بتقديم التنازلات له . فتركا له الجزيرتين اللتين أحتلتهما قواته ، بالإضافة إلى جزيرة كورسيكا . ووعده مارك أنطوني بأن يسلمه قاعدة حربية فى جزر البيلوبيونيز . ولكنه ماطله بعد ذلك . ورفض تسليمه القاعدة التى وعده بها .

وعندما عاود بومبياس غاراته على ايطاليا ، طلق أوكتافيوس زوجته ، سكريبونا . وكانت قريبة لبومبياس . وتزوج فى عام ٣٨ ق م من سيدة رومانية ، ارستقراطية وجميلة ، هى ليفيا دروسيلا .

وقد سبق أن ذكرنا أن منبت مارك أنطوني الأرستقراطى ، كان أحد العوامل المؤثرة في ترجيح كفته فى روما على أوكتافيوس . حتى عينه السينات خلال زيارته الأخيرة لها ، كاهناً أعظم لديانة يوليوس سيزار . وليس من شك أن أوكتافيوس قد أراد بزواجه من ليفيا دروسيلا ، أن يبلغ فى نفوس الطبقات العليا والحاكمة فى روما نفس مقام مارك أنطوني عندها .

وقد ولدت أوكتافيا فى أغسطس عام ٣٨ ق م لمارك أنطوني ابنته الأولى منها : أنطونيا . وفى الشهر التالي ، بارح ثلاثتهم ايطاليا إلى أثينا لتمضية أشهر الشتاء .

وقد جعل مارك أنطوني من أثينا قاعدة له طوال الشهور الثمانية عشرة التالية . وقيل أن حياته فيها ، مع زوجته الجديدة ، أوكتافيا ،

كانت مثالا للحياة الزوجية السعيدة . وللسعي الفكري والروحي ، مع الفلاسفة والعلماء والأدباء الأغريق . وقد تزوج من أوكثافيا ، مرة أخرى ، زواجا مقدسا أثينيا . وحاول الأثينيون أن يطابقوا في آدابهم وأشعارهم بين صورتها وصورة ربة المدينة .

وبينما مارك أنطوني ينعم بحياته السهلة والجميلة في أثينا ، أرسل قواده الرومانيين على رأس جيوشه ، لمحاربة البارثيين . وقد أستطاع قائده فينتيديوس أن يطرد لاينياس من آسيا الصغرى . وأن يهزم ، في يونية من العام التالي ، ٣٨ ق م ، أبن ملك بارثيا : باكوراس ، في سوريا . ولكن فينتيديوس أخذ يفرض الأتاوات على المدن والقرى التي دخلها . فمن يدفع ، حفظ جسده وروحه وعائلته وماله . ومن لم يدفع ، قتل وأستعبد وسبي ودمر ونهب !

وقد أضطر مارك أنطوني إلى أن يترك أثينا ، وأن يلحق بقائده في سوريا ، وأن ينحيه .

ثم أستنجد أوكثافوس بمارك أنطوني . فقد كان يجد صعوبات كبيرة في حربه مع سيكتس بومبياس . وقد ذهب مارك أنطوني لنجدة أوكثافوس ، في المكان الذي حدده ، وهو برنديزي . ولكن أوكثافوس وجد الأمور قد تحسنت ، فلم يذهب إلى لقائه . ثم ساءت أحواله مرة أخرى ، ودعا أوكثافوس مارك أنطوني إلى لقاء جديد في تارنتو . وقد ذهب مارك أنطوني إلى لقاء تارنتو ومعه ٣٠٠ سفينة حربية . وأتفق مع أوكثافوس على أن يأخذ ١٢٠ سفينة منها ، على أن يقدم له ٢٠٠٠٠

جندي ، يحارب بهم مارك أنطوني البارثينيين .
كذلك أاتفق مارك أنطوني وأوكتافىوس على أن يتزوج ابن الأول (من فولبيا) ابنة الثانى : أوكتافيان . ولم يكن عمر ابنة أوكتافىوس قد جاوز العامين .

وبلاحظ أن هذين الشرطين الأخيرين لم ينفذا . فأن أوكتافىوس ، بعد أن تسلم السفن المائة والعشرين ، لم يرسل الجنود التى وعد بها مارك أنطوني . كذلك لم يتم زواج ابن مارك أنطوني بابنة أوكتافىوس : أوكتافيان بعد ذلك.

ثم توقف مارك أنطوني وزوجته أوكتافيا ، فى طريق عودتهما من ايطاليا ، فى كورفو . وكانت أوكتافيا حاملاً . ومتعبة ، وقيل أنها ومارك أنطوني قد أتفقا على أن تعود إلى روما ، لتعهد أطفالها منه ومن زوجيها السابقين . وقيل أن مارك أنطوني قد أرادها أن ترعى شئونه السياسية هناك ، خصوصاً وأنه كان قد أزمع الانشغال طوال الشهور التالية فى محاربة البارثينيين . وكان يحب أن يطمئن إلى سير أموره فى روما . وقيل أن السبب الحقيقي هو اختلافه معها بسبب عدم تسليم شقيقها أوكتافىوس له الجنود الذين وعده بهم .

ومهما كان الأمر ، فان انفصالهما فى كورفو ، كان نهاية حياة مارك أنطوني الزوجية القصيرة مع أوكتافيا . ومع أنها قد توجهت إليه بعد ذلك بعام فى أثينا ، فانه لم يجتمع بها فيها . ولم تعد الأمور بينهما قط إلى ما كانت تحب .

هزيمة مارك أنطوني أمام الميدين والأرمينيين

كتب مارك أنطوني ، وهو فى طريقه من اليونان إلى سوريا ، إلى كليوپطرة . كى توافيه فى أنطاكية . ولم تكن قد رأتة ، كما ذكرنا ، طوال ثلاثة أعوام .

وليس من شك ، أنها عندما ذهبت اليه هناك ، وقضت شتاء ذلك العام بأكمله معه ، قد وجدت مواضيع كثيرة تتحدث فيها اليه . الى جانب مواضيع المساعدات المالية والعسكرية التى طالبها بها .

وُقد أستطاعت كليوپطرة أن توسع ، خلال محادثاتها معه ، حدود مملكتها . حتى لم تعد تقل كثيراً عن الحدود البطلمية الأولى ، التى تمتعت بها تلك المملكة وقت إزدهارها فى القرن الرابع قبل الميلاد . فأمتدت مملكة كليوپطرة على سواحل البحر الأبيض المتوسط حتى جبل الكرمل فى لبنان . وشملت بعض أنحاء آسيا الصغرى . والمناطق الداخلية الواقعة حول سواحل سوريا وفلسطين ، بما فى هذا دمشق وبعليبك . وبأستثناء صور وصيدا ، اللتين أحتفظنا باستقلالهما .

ومع أن كليوپطرة كانت تريد ضم مملكة اليهود إلى مملكتها ، فان مارك أنطوني قد رفض هذا ، بدعوى حاجته لليهود فى معركته المقبلة مع البارثينيين . وان كان قد سلمها فى النهاية جزءاً من المدن اليهودية العشرة التى كانت تقع بين اسرائيل وشرقي الأردن . وجميع موانئ تلك

المملكة البحرية ، ما عدا غزة وعسكلون ، اللتين بقيتا مستقلتين .
وأما هيرود ، فقد أستمر ملكاً على المملكة اليهودية . وقد جعل
القدس عاصمته . وأستعان بقائده جابوس سوسياس لإدارة شئون مملكته .
ولكن الود ، بين كليوپطرة وهيرود ، كان قد أختفى تماماً . بل
وأصبحا عدوين سافرين . ومع أن كليوپطرة قد أستعانت بهيرود لإدارة
مزارع النخيل والبلسم فى فلسطين (ويقال أنها قد نقلت فى هذا الوقت
زراعة البلسم منها إلى عين شمس) . وأعطت هيرود حق استغلال مناجم
البيتيرمن فى شرقي الأردن ، فقد أصبح كل منهما يتربص بالآخر .
ويتحين الفرص للقضاء عليه .

ويلاحظ أن بعض مناطق فلسطين وسوريا ، التى سمح مارك أنطوني
بضمها إلى مملكة كليوپطرة ، كانت تؤلف أجزاء من صميم الأمبراطورية
الرومانية . وكان من الواجب على مارك أنطوني أن يستشير السينات
الروماني، قبل أن يضمها إلى مملكة كليوپطرة. ولكنه لم يفعل . وقد أثار
بهذا ثورة السينات، وغضب الرومانيين عليه، وكرهيتهم لكليوپطرة.

وعندما هزم القائد الروماني فينتديوس ، باكوراس ، ابن ملك بارثيا
أوروديس ، فى عام ٣٨ ق م ، تنحى أوروديس عن عرشه . وخلفه فيه
ابنه فراتيس الرابع . وقد حاول الملك الجديد أن يرسى قواعد حكمه، وأن
يوطد أمنه فقتل والده ، وثلاثين من اخوته ! . وأدى هذا إلى أن يهرب
بعض زعماء بارثيا، وعلى رأسهم مونايسيس، إلى صفوف مارك أنطوني.

وكان مونايسيس حاكماً على الأقاليم الغربية فى امبراطورية البارثيين ، وقائداً عاماً لجيوش الملك السابق أوروديس . وقد كافأه مارك أنطونى بتثبيتته حاكماً فوق أقاليمه . ووعده بأن يجعله ملكاً على بارثيا بعد انتصاره عليها .

وكان مارك أنطونى يريد غزو بارثيا من حدودها الشمالية . ولهذا رتب لغزو أرمينيا وميديا . وفكر فى الأستعانة بجيشها فى هجومه الأخير على البارثيين . ولكن مارك أنطونى لم يتحرك بجيشه الى أرمينيا ، حتى مايو عام ٣٦ ق م . ويقال أن السبب فى هذا هو ملازمته كليوپطرة فى أنطاكية ١ .

ووقع أن مونايسيس كان قد أتفق مع ملك أرمينيا ، أرتافاساديس ، على أن تتجمع جيوشهما معاً لمقاتلة الميديين . فأن أرتافاساديس باغت جيش مارك أنطونى بالهجوم . حتى اضطّر مارك أنطونى لمقاتلته ، ودخل عاصمته أريزروم ، منتصراً .

ولما كان الوقت قد أخذ يمضى بمارك أنطونى ، فقد تقدم بعد ذلك بسرعة على رأس نصف جيشه الى ميديا . وترك النصف الآخر لكى يلحقه . وكان مع هذا القسم الثانى أهم رماة جيشه . ولكن الأرمينيين هاجموا هذا النصف الثانى ، خلال تقدمه البطئ عبر بلادهم . وأحترار مارك أنطونى ، وهو واقف على أبواب العاصمة الميديّة فيما يفعله . ثم حل عليه ، فى أكتوبر ، الشتاء . واضطر أن يعود بقواته المنهكة عبر أرمينيا الى سوريا . ملاقياً مع جنوده ، الى جانب ويلات الطبيعة ،

هجوم الميدين والارمنيين عليهم .

وعندما بلغ مارك أنطوني الساحل الفينيقي ، كان متعباً وحزيناً . وقد أرسل يستدعى اليه كليوپطرة . وكانت حزينة على هزيمته . ولكن حضورها اليه ، فى يناير عام ٣٥ ق م ، أصاب رجاله بالحنق والغضب . وظنوا أن مارك أنطونى قد تسرع بالعودة من أرمينيا ، خلال الشتاء ، ملاقياً ما لا قى من أهوال ، من أجل لقاء كليوپطرة ! . والحقيقة هى أن مارك أنطوني كان يحتاج إلى أموال وامدادات جديدة ، لمواصلة حربه مع البارثينيين . ولم يكن أقدر على تقديمها له من كليوپطرة .

ومع ذلك ، فان كليوپطرة قد أرادت أن تظهر حنقها ، وعدم رضائها عنه . فلم تقدم له الا أموالاً قليلة . وقيل أن مارك أنطوني قد تظاهر أمام رجاله بأنها قد قدمت له كل ما طلب . وأخذ يوزع عليهم من ماله ، مدعياً أن كليوپطرة قد أحضرته اليه ! .

وجدير بالذكر أن هزيمة مارك أنطوني أمام الميدين والأرمنيين ، قد صورت فى خطابه لروما كأنتصار كبير . فأقيمت الصلوات والأحتفالات . وسكت النقود لتخليد ذكراها ! .

وكان أوكتافيوس قد أحرز انتصارات كبيرة على بومبياس . ونجح قائده أجريبا ، فى سبتمبر عام ٣٦ ق م ، فى القضاء على اسطول الأخير فى فينتيكو . وقد دعا هذا أوكتافيوس الى عزل بومبياس من عضوية «التريفيرا» من دون استشارة مارك أنطوني . وقصر زعامة الأمبراطورية الرومانية عليهما وحدهما .

لقاء كليوپطرة وهيرود

سمع مارك أنطوني في ربيع عام ٣٥ ق م ، أن زوجته أوكتافيا قد تركت روما للحاق به ، وأن معها امدادات وملابس لجنوده . و ٧٠ سفينة باقية من سفنه المائة والعشرين التى كان قد سلمها لأوكتافيوس و ٢٠٠٠ جندي روماني متمرس .

وكانت أوكتافيا قد أنجبت له ، قبل مبارحتها روما ، ابنته الثانية منه .

وكانت كليوپطرة معه ، عندما جاءتهما هذه الأخبار . ويقال أنها قد حرصته على ألا يقبل ما حملته له زوجته . ويقال أيضاً أن «المنجم البطلمي» الذى ذكرنا أن كليوپطرة كانت قد أرسلته له ، كان يحذر مارك أنطوني على الدوام ، من الأخطار التى تتحدث بها النجوم ، وستأتيه عن طريق أوكتافيوس ! .

وقد كتب مارك أنطوني من سوريا ، لأوكتافيا ، بأن ترسل له ما تحمله . وبأن تعود من فورها إلى روما لرعاية شتو ، ن أطفالها وشتونه السياسية هناك ! .

وعندما أطاعت أوكتافيا زوجها ، وعادت الى روما ، غضب شقيقها أوكتافيوس غضباً شديداً . وأستغل موقف مارك أنطوني من شقيقته

استغلاً مسيئاً له . ومع ذلك ، فان أوكثاها لم تفتح فمها بكلمة ضد زوجها وانما لازمت منزلها ، ووجهت همها لرعاية شئون أطفالها . وعملت كل ما تستطيعه لخدمة قضية مارك انطوني السياسية . وقد لاحظ بلوتارخ ، أنها بموقفها المستول والنبيل هذا ، قد أساءت الى مارك أنطوني ، بأكثر مما كانت تسيء له ، لو أقامت الدنيا وأقعدتها على ما أصابها منه ! .

وقد قصد مارك أنطوني فى ربيع عام ٣٥ ق م الى الأسكندرية . فبقى مع كليوپطرة فيها شهوراً ، ثم توجهها معاً الى أنطاكية . وقد حاولت كليوپطرة ، خلال هذه الشهور ، أن توغر صدر مارك انطوني على ملك اليهود هيرود . وأن تتوسل بكل ما لديها من وسائل ، الى ضم مملكته الى مملكتها .

وكان هيرود قد تزوج فى عام ٣٧ ق م من احدى أميرات عائلة المكابي ، التى سبقته فى حكم اليهودية . وقد جعل شقيقها أريستوبولوس ، والبالغ من العمر ١٦ عاماً ، قساً أعظم للملكة . ولكنه اختلف معه بعد ذلك ، وخلعه عن وظيفته . وكانت والدته أريستوبولوس ، ألكسندرا ، تعرف كليوپطرة . وقد كتبت لها كى تتوسط لأبنها عند مارك أنطوني كى يعيده الى وظيفته .

وقد نجحت كليوپطرة فى مسعاها . وأرغم مارك أنطوني هيرود على اعادة أريستوبولوس الى وظيفته . ولكن هيرود أخذ يضايق

أريستوبولوس ، وعضايق أمه ألكسندرا ، حتى حاولا أن يفرا داخل صندوقين للموتى إلى مصر ! ولكن هيرود كشف حيلتهما . وأغرق أريستوبولوس خلال استحمامه فى قصره . وكتبت ألكسندرا خطاباً جديداً لكليوبطرة ، تستنجد بها من الانتقام الذى يعده لها هيرود . وقد جعلت كليوبطرة مارك أنطوى ، يرسل فى طلب هيرود . ولكنه عندما جاء لم يبطش به ، كما أرادت كليوبطرة ، وأكتفى بتأنيبه . ونزع عن مملكته ميناء غزة ، وضم هذا الميناء الهام إلى مملكة كليوبطرة . وليس من شك ، أن كليوبطرة قد حاولت بعد ذلك التضييق على هيرود . وحرضت عليه معاونيه . وشجعت الدعاوى الانفصالية فى مملكته . خصوصاً تلك التى قام بها كريستوباروس بعد ذلك بأعوام .

* * *

وكان ثالث «الترغيفرا» ، سيكتس بومبياس ، قد لجأ بعد هزيمته من أوكتافىوس فى صقلية ، الى بعض جزر البحر الأيحي . وقد حاول أن يتصل بالبارثيين لمساعدته ضد زميله السابقين . وعرف هذا مارك أنطوني فأرسل له قائده تيتيوس للقبض عليه . ولكن تيتيوس بعد ما ظفر به ، قتله . وقد أثار هذا ثائرة روما ، وألقت جماهيرها اللوم على مارك أنطوني ، وإن كان الأخير قد لام تيتيوس على هذا العمل . وقد أخرجت حادثة سيكتس بومبياس ، خروج مارك أنطوني على رأس جيشه لقتال البارثيين . وكان ملك ميديا ، أرتافاسيديس ، قد أختلف مع ملك بارثيا ، فراتيس . ووعده مارك أنطوني بمساعدته فى محاربة

الأخير . وقد كُتل الاتفاق بينهما ، بخطوبة ابن مارك أنطوني وكليوبطرة، الكسندر هليوس ، من ابنة أرتافاسيدس .

وفى ربيع عام ٣٤ ق م ، ترك مارك أنطوني كليوبطرة فى سوريا . وتقدم على رأس جيشه إلى المملكة الأرمنية . وعندما أسرع اليه ملكها ، أرتافاسيدس ، راجياً التفاهم معه ، طالبه مارك أنطوني بتسليمه كنوزه . وقد وافقه الملك الأرمني على ذلك . ولكن قواد جيشه رفضوا تسليمها لمارك أنطوني ، وأستمروا فى مقاومة جنوده . وعندما هزموا ، لجأت فلولهم إلى البارثيين .

وحيث قبض مارك أنطوني على الملك الأرمني أرتافاسيدس ، وأرسله مع زوجته وأولادهما وجزءاً كبيراً من ثروته الى الاسكندرية . وقد ترك موضوع زواج أبنه ، الكسندر هليوس ، من ابنة الملك الأرمني ، وأخذ يفكر فى مشروع آخر لزواجه من ابنة ملك ميديا . وكان هذا الملك قد انضم اليه فى محاربة البارثيين . ولكن جيوشهما لم تستطع مع ذلك أن تلحق الهزيمة القاصمة بجيوش بارثيا . وأضطر مارك أنطوني إلى ترك هذه المملكة بعد ذلك ، ولم يعد يفكر فيها .

عندما ترك مارك أنطوني كليوبطرة فى سوريا ، وذهب لمحاربة الارمنيين والميديين والبارثيين ، على ما وصفنا . زارت كليوبطرة فى طريق عودتها إلى الاسكندرية بعض المدن السورية ، وعلى رأسها دمشق . ثم عرجت على مملكة هيرود اليهودية .

وقد تظاهرت كليوپطرة ، وتظاهر هيرود ، بالسعادة والخبور لهذا اللقاء الثاني لهما . بعد زيارة هيرود السابقة للأسكندرية ، عندما طرده البارثينيون من مملكته فى عام ٤٠ ق م . وقد أستقبلها الملك اليهودي فى قصره ، أنطونيا ، بالقدس ، بكل مظاهر الود والخضوع .

وجدير بالذكر أن كليوپطرة كانت تتحدث مع هيرود بالعبرية التى عرفتها تماماً ، وأنها كانت تتحدث مع مارك أنطوني وغيره بالرومانية واليونانية . وقيل أنها قد عرفت ، الى جانب هذه اللغات الثلاث (وعلى عكس الملوك البطالمة الذين لم يكونوا يجيدون اللغات الأجنبية) ١٠ لغات أخرى ، من بينها المصرية والأمهرية والأرمنية والميدية . يقول المؤرخ اليهودي جوزيفس ، نقلاً عن مذكرات هيرود :

« وقد أنتهزت كليوپطرة فرصة لقائها بالملك هيرود ، كي تحاول خلق علاقة حميمة لها معه . لأنها كانت بالطبيعة عبدة هذه اللذة ، تجاهر بها فى العلن ومن دون خفاء . ومع ذلك ، فربما شعرت كليوپطرة بعاطفة قوية ناحية هيرود . وربما (وهذا أكثر احتمالاً) أرادت الأيقاع به ، والتخلص منه بالعنف ، خلال محاولته الاتصال بها (١) .

« وبالاختصار ، فقد أعطت كليوپطرة لهيرود الاطباع بأن عواطفها نحوه قد غلبتها . ولكن عواطف هيرود ، كانت بعيدة منذ زمن طويل ، عن الميل لكليوپطرة ، بسبب ما ذاع عنها من سوء خلق . ولهذا ، فقد اعتبر دعوتها اليه ، مدعاة لأحتقاره . وآلى على نفسه ، اذا كانت قد بيتت له غداً ، أن يغدر بها قبل أن تغدر به (١) .

« ولهذا تجاهل هيرود دعوة كليوبطرة اليه . ولجأ الى أصدقائه ، يستخلص منهم آراءهم ونصائحهم . فسألهم عما اذا كان يستطيع قتلها وهي في حوزته . وذكر أنه اذا ما فعل ، فإنه سيخلص الكثيرين من شرورها في المستقبل . وحتى مارك أنطوني ، فإنه سيخلصه ممن لا يضمرون له ولاء ، مما سيكتشفه في يوم آت (١) .

« ولكن أصدقاء هيرود منعه عن ذلك . وقالوا له : ان الأمر لا يحتاج الى كل هذا . وأنه يجب أن يعامل كليوبطرة بالهدوء والصبر . وأن مارك أنطوني لن يغفر له ما قد يفعله بها . بل أن حبه لكليوبطرة سيشتعل ناراً وثورة ، اذا ما عرف أنه قد حرم منها بالقوة أو بالخيانة . وحينئذ تصيبه هو وأسرته وشعبه الويلات . وبهذه النصائح ، وكثير غيرها ، أبعده عن تنفيذ خطته » .

ويقول جوزيفوس ، أن هيرود بدلاً من أن يضاجع كليوبطرة أو يقتلها ، قد حملها هدايا كثيرة . وذهب يودعها ، هو وأشراف دولته ، حتى حدود بلادها .

كليوپطرة ملكة للملوك

عندما عاد مارك أنطوني الى الأسكندرية ، بعد انتصاره على البارثيين ، فى خريف عام ٣٤ ق م أستقبلته كليوپطرة بالموكب والأحتفالات ، ووزعت النقود والأطعمة على الفقراء . وسار الأسرى الأرمينيون والبارثينيون فى شوارع الأسكندرية . يحفهم جنود مارك أنطوى ، الذين حملوا بعض ما أحضره معهم من كنوز تلك البلاد .

ثم أقيم فى استاد الأسكندرية حفل كبير تصدره مارك أنطوني وكليوپطرة . وقد جلسا على كرسيين عالين وضع أسفلهما كرسي آخر . جلس عليه بطليموس سيزار وكان عمره ثلاثة عشر عاماً ثم صفت ثلاثة كراسي أصغر ، جلس عليها الكسندر هليوس (فى ملابس فارسية) وكليوپطرة سيلين . (وكانا فى السادسة) ويطليموس فيلادلفوس ، فى ملابس مقدونية (وكان فى الثانية من عمره)

وقد لاحظ المؤرخ الأغريقي باتركيوليس Paterculus أن مارك أنطوني ، جعل نفسه فى صورة الآله الأغريقي الأكبر دايونيساس (باخوس عند الرومانيين) آله المرح والشراب والنصر وقد أحاط رأسه بأكليل على صورة اكليل ذلك الآله وأرتدى ثوباً أصفراً ومذهباً بينما ظهرت كليوپطرة فى صورة ايزيس / أفرو ديت ، عند المصريين والأغريق

وقد ألقى مارك أنطونس خطاباً هاماً ، عرف بأسم «وصية الأسكندرية» أعلن فيه تنصيب الكسندر هليوس ملكاً على أرمينيا وميديا ، و «جميع الأراضي خلف الفرات وحتى الهند» . وكان هذا يعني ضم ممالك أرمينيا وميديا وبارثيا بأكملها الى المملكة البطلمية تحت رئاسته . ولم يكن مارك أنطوني قد هزم ، على ما ذكرنا ، بملكة بارثيا ، هزيمة نهائية .

كذلك نصب مارك أنطوني بطليموس فيلاديلفوس ملكاً على ممتلكات البطالمة في اليونان وآسيا الصغرى وسوريا . ونصب كليوپطرة سيلين ملكة على ليبيا وجزيرة كريت . وكان قد حصل لها على موافقة أوكتافيوس على ذلك .

وأما بطليموس سيزار ، فقد أصبح ملك الملوك . ولكن رتبته كانت أقل قليلاً من رتبة والدته ، كليوپطرة : ملكة الملوك . وقد قيل أن مارك أنطوني ، حين رفع بطليموس سيزار الى هذه المرتبة العالية ، قد أعترف ببنوته ليوليوس سيزار . وأنه حين لم يخصه بمملكة خاصة ، قد أراد أن يبقيه حراً لمهمة أكبر وأرفع من مهام اخوته ! . أى جعله امبراطوراً على روما ! .

وقيل أيضاً ، انه فى تنصيبه لأبنائه من كليوپطرة على الممالك والممتلكات الرومانية ، قد أعترف بزواجه منها ، وبنوة أبنائهما له . ولكن هذا الزواج لم يكن كزواجه من كوليرينا الرومانية «زواجا بشريا» ، وإنما كان زواجا آلهيا» ! . زواج ايزيس بأوزيريس ! . وأفروديت

بدايونيساس ! .

وجدير بالذكر ، أن «وصية الاسكندرية» لم تتسع لذكر ابن مارك
أنطوني من فولثيا : ماركوس أنطونيوس ، والملقب بأنتيلوس . وكان له
من العمر وقتها عشرة أعوام . ولكن انتيلوس استمر مع ذلك الوريث
الشرعي الوحيد لمارك أنطوني حسب القانون الروماني .
وقد كتب الشاعر اليوناني السكندري ، كونستانتين كفاقي ، بعد
اعلان «وصية الاسكندرية» بتسعة عشر قرناً :

« تجمع السكندريون

ليروا أبناء كليوبطرة

سيزاريون ، وأخوته الصغار

الكسندر وبطليموس ، الذين ذهبوا

للمرة الأولى الى الجمنازيوم

كى يتوجوا ملوكاً

وسط استعراضات الجنود ..

« وكا ، السكندريون يوقنون

أن كل هذه سفسطة وخيلاء

ولكن اليوم كان دافئاً وجليلاً

والسماء زقاء وصافية

والاسكندرية كلها فى الجمنازيوم تحتفل

والبلاط فى أبهى حلله .

وكان سيزاريون جميلاً وعظيماً :
ابن كليوپطرة ، وحامل دماء اللاجيدين .
« وقد هرع السكندريون لمشاهدة الأحغال
وتحمسوا ، وصفقوا ،
باليونانية ، والمصرية ، وبعضهم بالعبرية
مسحورين بالمنظر الخلاب
مع انهم كانوا يوقنون بأنها كلمات
لن يحقق من ورائها الأطفال الا السراب » .

وعندما بلغت أخبار احتفالات الأسكندرية روما ، أثارت الحيرة
والقلق . وتساءل الرومانيون : لماذا تقام هذه الأحتفالات فى الأسكندرية،
بدلاً من روما ؟ . ولماذا يظهر فيها مارك أنطوني كآله أغريقي بدلاً من
روماني ؟ ! .

وأما فقراء المدينة فقد تعالت همهماتهم . فقد كانوا أحق ، كما قالوا ،
بما وزع خلال ذلك الحفل من أموال وأطعمة ! .

وجدير بالذكر أن بعض المؤرخين ، قد نظر الى «وصية الاسكندرية»
كبداية نهاية مارك أنطوني . ونقطة التحول ، التى بدأت عندها كفة
أوكتافيوس ، عند الرومانيين ، ترجح كفة مارك أنطونى ، فى سباقهما
نحو القيصرية .

مارك أنطوني يخسر تعاطف الرومانيين

فى نوفمبر عام ٣٤ ق م ، عاد أوكتافيوس من حربه الثانية الموفقة فى الأراضي البوجوسلافية إلى روما . فسمع بأخبار «وصية الأسكندرية» . وقد سكت أسابيعاً . ثم أخذ ، منذ بداية عام ٣٣ ق م ، فى انتقاد مارك أنطوني علانية . وسمع مارك أنطوني وهو بالاسكندرية بانتقادات أوكتافيوس . فكتب له خطابين : الأول رسمي مقتضب . والثاني طويل وصريح . وقد ذكر له فى الأخير أنه لم يبدد الأمباطورية الرومانية «ثمناً للجسد الذى قدمته له كليوپطرة» . ونفى أنه تزوجها . و «غمز» أوكتافيوس ، فذكره بعشيقاته الكثيرات وأخطائه التى لا حصر لها .

وقد انشغل أوكتافيوس بعد ذلك بحربه الثالثة فى شبه الجزيرة البوجوسلافية . فلما عاد منها منتصراً ، وبدد إلى غير رجعة الأخطار التى كانت تتهدد الأمباطورية الرومانية من شمالها الشرقى . أخذ يردد حربه الكلامية ضد مارك أنطوني بأشد مما كان يفعل . وأخذ أنصاره يقارنون بين صورة أوكتافيوس «المجلبة للحظ ، والنصر» وصورة مارك أنطوني ، الذى لم يتحقق من ورائه شيئاً لروما . ويذكرون الرومانيين بسوء صحبة الأخير ، وكسله . وإفراطه فى الشراب . وبأنه قد أهدى

أملاك الأباطورية لمن ضاجعهم ، من دون أخذ رأى السينات .
وأستخدم الجنود الرومانيين لخدمة أطماع عشيقته البطلمية .
وبالطبع ، لم يسكت مارك أنطوني وأنصاره عن أوكتافوس . وقد
أخذوا يذكرون الرومانيين بأن أوكتافوس لم يثبت فى حياته قدرة أو
موهبة . وأن السبب الوحيد لورائته ليوليوس سيزار ، هو قرابته له ،
ومشاطرته له شذوذه ..

وفى أكتوبر عام ٣٣ ق م ، أرسل أوكتافوس لمارك أنطوني رداً جافاً
ومختصراً على اتهاماته . وكان مارك أنطوني قد خرج لصدد هجوم
البارثيين الوشيك على أراضيه . فلما قرأ الرد ، شعر أن موقفه مع
أوكتافوس قد أوشك على الانفجار . وأن الحل الوحيد لمنع الشقاق ، أو
كسب الحرب اذا نشب القتال بينهما ، هو أن يكسب تأييد السينات له .
وأن يجعل أعضائه يوافقون على وصيته بالأسكندرية .

ولكن مارك أنطوني ، بدلاً من العمل بهذا التحليل الواقعي ،
والتوجه إلى روما ، ذهب مع كليوپطرة إلى آسيا الصغرى . وأقام
معسكره فى إيفسوس . ثم كتب للسينات خطاباً أبرز فيه أهمية
إنتصاراته الحربية الأخيرة . والفوائد السياسية التى ستجنيها روما من
وصيته بالأسكندرية . ثم عرض أن يتنازل ، هو وأوكتافوس ، عن
حقوقهما فى «الترغفيرا» . ويترك الأمر بين يدي السينات .

ولكن السينات لم يتحرك . وعندما أنتهت فترة «الترغفيرا» ، فى
نهاية عام ٣٣ ق م ، تظاهر أوكتافوس ومارك أنطوني بالتنازل عن

سلطاتهما ، ولكنهما أستمررا فى الحقيقة فى مواقعهما يحكما . بل أن الصراع بينهما أشد . فأخذا يتنازعا أعضاء السينات فيما بينهما . ومن محاسن الصدق ، التى لم يحسن مارك أنطونى إستغلالها ، أن القنصلين الرومانيين الجديدين ، اللذين أنتخبهما السينات فى عام ٣٢ ق م كانا ، كلاهما ، من المؤيدين لمارك أنطونى . فان أولهما ، اهيئو بارياس ، كان قد زوج ابنه من ابنة مارك أنطونى من أوكتافيا . والثانى ، سوسيان ، كان أدميرالا بحرياً ، يميل الى كليوبطرة ، ويتفهم سياسة مارك أنطونى «الشرقية» .

وقد هاجم سوسيان ، فى فبراير عام ٣٣ ق م ، أوكتافيوس . وطالب السينات بسحب ثقته منه . ولكن أنصار أوكتافيوس فى السينات نجحوا فى منع بحث الاقتراح . ثم عاد أوكتافيوس الى روما بعد ذلك بأيام ، وألقى خطاباً قوياً أمام السينات ، هاجم فيه مارك أنطونى هجوماً شديداً وسافراً . وقد وعد فى ذلك الخطاب بتقديم مستندات هامة تدين مارك أنطونى . ولكنه لم يقدم بعد ذلك شيئاً .

والجدير بالذكر ، أن أوكتافيوس قد ألقى خطابه وسط حراسة من جنوده ، فلم يستطع أحد معارضته . ولما كان مارك أنطونى غائباً عن روما ، فان أنصاره لم يستطيعوا الصمود لأستبداد أوكتافيوس ، وأخذوا يتركرون له المدينة . وقد ذهب حوالى ٢٠٠ منهم إلى معسكر مارك أنطونى فى إيفسوس ، يعلنونه بتأييدهم ! .

وفى بولية عام ٣٢ ق م ، أعلن مارك أنطوني طلاقه من زوجته أوكتافيا ، شقيقة أوكتافيوس . وبهذا أنقطعت جميع خيوط الود بين الزعيمين المتصارعين على سيادة الأمبراطورية الرومانية . وبلغا ، كلاهما ، نقطة اللا عودة فى خصومته . وقد قيل أن كليوبطرة هى التى حرضت على هذه القطيعة . وقد زاطت لاعلائها . وانها كانت تتوقع انتصار مارك أنطوني على أوكتافيوس ، ثم زواجه منها . ولكن مارك أنطوني خسر تأييد الكثيرين من الرومانيين بسبب ذلك الطلاق . وأخذ عدد من أهم أنصاره يتركونه ، وينضمون إلى أوكتافيوس .

وكان من هؤلاء عضو السينات الرومانى بلاتكوس . الذى سارع الى روما ، وألقى خطاباً حائلاً فى السينات . كال فيه اتهامات لا حصر لها ، حقيقة وكاذبة ، لزعيمة السابق ، مارك أنطوني . حتى ذكره أحد الأعضاء : « أن أنطوني لا يد قد أرتكب عدداً كبيراً جداً من الجرائم قبل أن تقرر أن تتخلى عنه » .

ثم أدعى بلاتكوس ، ومعه تيتيوس ، أن مارك أنطوني قد كتب وصيته ، وأودعها المكتب المختص بذلك فى روما . وقد ذهب أوكتافيوس إلى ذلك المكتب ، وطالب بالوصية . ولكن المستول عن المكتب رفض تسليمه شيئاً . فاستولى عليها أوكتافيوس بالقوة . ثم أعلن للسينات بعد ذلك ، ما أسماه بمحتويات تلك الوصية . فقال ان مارك أنطوني قد أكد فيها أن بطليموس سيزار هو الابن الشرعي ليليوس سيزار . وأنه بالتالى وريثه الشرعي فى حكم روما . وأن أبناء

مارك أنطوني الثلاثة من كليوبطرة هم ورثته الشرعيون . وطالب بأن يدفن ، عندما يموت ، فى الأسكندرية ، وليس فى الفورام الروماني .
وقد أثارت هذه الرصبة ، التى قرأها أوكتافيوس للسيئات ، ولم يطلع أحد عليها ، جدلاً كبيراً . فأن أحداً لم يوقن من وجودها . وحتى بفرض وجودها ، فهل كانت هذه فعلاً هى نصوصها كما كتبها مارك أنطوني؟

وليس من شك أن النصوص التى عرضها أوكتافيوس على الرومانيين، قد أحييت الغيرة والكراهية فى نفوسهم . وذكرتهم بمخاوفهم القديمة ، من نقل يوليوس سيزار لعاصمة امبراطوريتهم من روما الى الأسكندرية . ونبته الزواج بتلك الشيطانة والساحرة البطلمية .
فها هى كليوبطرة ، قد نجحت ، مرة أخرى ، فى كسب سيد الأمبراطورية الرومانية لقضيتها . وها هو يتبنى قضية بنوة أبنها الأكبر من يوليوس سيزار . وقد رسمت الخطط ، وأحكمت تنفيذها ، لتجريد روما من امبراطوريتها . ونقل عاصمة العالم القديم من روما الى الأسكندرية .

أخطاء مارك أنطوني قبل أكتيوم

طالب بعض أنصار مارك أنطوني ، بأبعاد كليوبطرة عن إيفسوس . وكان على رأس هؤلاء القنصل الروماني الذي أتينا على ذكره ، أهينو بارباس . فقد وجد أهينو بارباس أن وجودها هناك غير ضروري . وأنه يسئ الى قضية مارك أنطوني . ولكن قائد مارك أنطوني ، كانيديوس كراسوس ، ذكر الحاضرين من زعماء وقواد ، بتضحياتها الكثيرة ، وخبرتها الواسعة . وقال أنها لا تقل في شيء عن بقية الملوك والرؤساء الحاضرين . وقد أيد مارك أنطوني ما قاله قائده .

ولكن كليوبطرة أصرت ، فى هذه اللحظات الحرجة ، على أبعاد هيرود الى فلسطين . وتعللت بأنه قد تأخر فى جمع حقوقها المالية التى ألتمز بجمعها لها من عرب تلك البلاد . وكان هيرود قد جاء الى إيفسوس مع جنود أقوياء . ولكنه أضرر أمام الحاح كليوبطرة الى العودة بهم الى فلسطين .

وفى نهاية ابريل عام ٣٢ ق م ، ترك مارك أنطوني وكليوبطرة إيفسوس ، وذهبا الى جزيرة ساموس اليونانية . وقد أقاموا فيها احتفالات أدبية وموسيقية كثيرة . ثم ذهبوا فى الشهر التالي ، مايو

٣٢ ق م ، الى أثينا فبقيا فيها طوال الصيف ووضعا تمثالا لكليوبطرة فى صورة ايزيس ، وبالمالبس الاغريقية فى معبد الاكروبوليس .

وكان جيش مارك أنطوني قد أخذ يتجمع من أنحاء شرقي البحر الأبيض المتوسط فوق شبه الجزيرة اليونانية . وقد تألف هذا الجيش من ٧٥٠٠٠ جندي ، تنتظمهم ٣٠ فرقة . ويساعدهم ٢٥٠٠٠ من الرماة و ١٢٠٠٠ من الفرسان . وكان يؤازرهم ٥٠٠ سفينة حربية (نصفها لكليوبطرة) و ٣٠٠ سفينة تجارية . ولكن أكثر الجنود والبحارة كانوا قد جاءوا من اليونان وآسيا الصغرى وسوريا ومصر . فان انقطاع اتصال مارك أنطوني بايطاليا كان قد حرمه من تجنيد الرومانيين .

ويلاحظ أن الجنود والسفن والأموال كانت وفيرة فى أيدي مارك أنطوني . وأن أوكتافيوس كان يلقى صعوبات كبيرة فى تجميع سفنه ، وإيجاد الأموال اللازمة لنفقاته . وكان قد فرض على الرومانيين ضرائب استثنائية ثقيلة لهذا الغرض . ومع ذلك ، فان جيشه لم يزد على ثلثي جيش مارك أنطوني . ولم يتجاوز عدده سفنه الأربعمئة سفينة .

وقد لاحظ بلوتارخ أن تأخر قيام الحرب قد أساء لمارك أنطوني . وأنه كان يجدر به أن يسرع بقواته المتفوقة عدداً وعدة على قوات أوكتافيوس ، لمحاربتة فى ايطاليا منذ عام ٣٢ ق م . بدلاً من أن ينتظره كى يهاجمه فى اليونان فى عام ٣١ ق م . وقد أيد بلوتارخ فى هذا الاعتقاد الشاعر هوراس . الذى قال أن الإيطاليين كانوا فى ثورة على الضرائب التى فرضها أوكتافيوس . وكانوا يتوقعون هجوم أنصار مارك

أنطوني عليهم ، ويحسبون لهم ألف حساب .
وقد ذهب بعض المؤرخين الى أن تقاعس مارك أنطوني عن الهجوم على ايطاليا فى عام ٣٢ ق م ، قد سببته كليو بطرة ! . فان مارك أنطوني لم يكن يستطيع فى ذلك الوقت اصطحابها للقتال هناك ! . ولم يكن يريد أن يتركها خلفه ! . ولكن عدداً آخر منهم ، وجد أن مارك أنطوني لم يكن يستطيع نقل جنوده الكثيرين والمختلطين الى ايطاليا عبر موانئها المزدحمة ، ثم شق طريقه بهم الى روما .
ومهما كان الأمر ، فان مارك أنطوني قد أخطأ ولا شك ، بأختيار موقع معركته المقبلة مع أوكتافيوس . فانه لما نقل جنوده عبر البحر الأييجى ، الى شبه الجزيرة اليونانية ، استدارت بهم سفنه حول جزر البيلوبونيز ، ووضعتهم على المواقع الجنوبية للطريق المقدونى : ايجناتيا .
وقيل أن مارك أنطوني هو الذى أختار هذا الموقع بالذات ، كى يتسنى له أن يحمي منه الشواطئ المصرية ! .
وقد أمتد معسكر مارك أنطوني ، على البحر الأييجى ، على مساحة تبلغ حوالى مائة ميل جنوبى الطريق المقدونى . وتناثر على عدة نقاط .
أولها فى الغرب ، عند مدخل خليج أرتا ، فى أكتيوم . ثم جزيرة ليوكاس . ثم باترا ، على مدخل خليج كورنثيا . ثم جزيرة زانت .

وكان أوكتافيوس قد أعلن ، قبل نهاية عام ٣٢ ق م ، عزل مارك أنطوني عن منصبه فى «الترعيفيرا» . وأعتبره جندياً رومانياً سابقاً ،

خرج على طاعة روما ، وذهب يخدم ملكة أجنبية ، هي كليوپطرة ! . ثم أخذ أوكتافىوس يطالب أنصاره بأن يقسموا بين الولاء له . وقد دفع هذا مارك أنطونى الى أن يطالب أنصاره ، هو الآخر ، بأن يقسموا له ميثاقاً مماثلاً . وشهدت الأسابيع التالية هروب كثير من أنصار مارك أنطونى من ايطاليا ، للانضمام الى جيشه فى اليونان . وهروب أنصار أوكتافىوس من اليونان وغيرها من الدول الشرقية ، للانضمام الى جيشه فى ايطاليا . وكان مارك أنطونى قد أعلن ، أنه فى خلال ٦ شهور من كسب الحرب ضد أوكتافىوس ، سيستقيل من منصبه ، ويعيد السلطات للسيئات الروماني والرومانيين .

ويلاحظ أن أوكتافىوس لم يعلن الحرب على مارك أنطونى . وإنما أعلنها على كليوپطرة . وأصبحت كليوپطرة بعد ذلك «عدوة شرقية» لروما . أغوت مارك أنطونى وأفسدته ، بالذخ والخمر والجنس ، حتى تملكته . وأن مارك أنطونى حاول أن يجرد روما من ممتلكاتها ، وأن يقدمها لعشيقتة ! .

ويلاحظ أن ثرجيل Virgil قد تحدث ، خلال هذا الوقت ، عن «الطقوس البربرية والغريبة فى الديانات المصرية القديمة» ! . وأن هوراس قد صور «الخصي القبحاء» الذين كانوا يتسلطون على البلاط البطلمي فى الأسكندرية ! .

وكان الرومان يعتقدون أن البطالة يكثرون من الشراب . وقد ذكر سترابو Strabo «أن مصر تحت البطالة كانت تترنح من شدة السكر» ! .

وأشار شيشيرون الى أن مارك أنطوني كان لا يكف عن الشراب . وأن كليوبطرة كانت تشاركه شرا به .

على أن ما أساء حقاً الى مارك أنطوني هو «الأقاويل» التي أنتشرت عن تدليله لكليوبطرة . وربما تدله في حبها . فأن أحد قادته ، سابينياس ، قد ذكر بعد ذلك ، أن مارك أنطوني كان «يتسلم خطاباتهما الغرامية في كل مكان يذهب اليه ، فيقرأها ، ويعيد قراءتها على رجاله» ١ . وأنه في خلال إحدى الاجتماعات الرسمية «مرت كليوبطرة بأطفالها بالقرب من مكان الاجتماع ، فأوقف مارك أنطوني الاجتماع ، وقام يصاحبها ، وهما يتنادران» .

بل أن سابينياس قد ذكر أيضاً ، أن مارك أنطوني قد طلب ، في إحدى المآدب في آسيا الصغرى ، من الحاضرين جميعاً ، أن يحيوا ملكتهم كليوبطرة . «ثم قام يعطر قدميها بنفسه أمامهم» .

ويذكر بلوتارخ ، أن سلوك مارك أنطوني ، وشططه الأنساني أحياناً ، لم يكن يضايق البطالة السكندريين . بل بالعكس حبه اليهم . «وأحبوا أن يشاركوه تسليته ، بطريقتهم الراقية والمهذبة . وكانوا يقولون أن مارك أنطوني يضع قناعه التراجيدي للرومانيين . وأما لهم ، فيضع قناعه الكوميدي» ١ .

ويعطى بلوتارخ المثل على «تصرفات مارك أنطونس الطفولية» . فيقول أنه قد خرج في أحد الأيام لأصطياد السمك ..

« وكانت كليوبطرة تلاحظه . فأمر بعض الصيادين بأن يغوصوا في

الماء ، وأن يشتروا بعض أسماكهم فى سنارته . ثم أخذ هو يستخرج أسماك الصيادين ، اثنتين وثلاثة فى كل مرة يخرج فيها سنارته من الماء . ولكن كليوبطرة اكتشفت حيلته . ومع ذلك ، أخذت تطنب مهارته فى الصيد .

« وفى اليوم التالي ، كانت قد أعدت له بعض أسماك البحر الأسود المملحة . وطلبت الى أحد صياديه ، أن يغوص فى الماء ، ويثبت بعضها فى سنارة مارك أنطوني ، كلما ألقاها هذا فيه . وقد ظن مارك أنطوني ، حين ألقى سنارته فى الماء ، أنه قد ظفر بسمكة حقيقية ، فجذب سنارته . ولم يجد الا السمكة المملحة . وضحكت كليوبطرة وقالت له : أيها الحاكم العظيم ، أترك لنا نحن حكام الفراعنة المساكين ، صيد السمك . لأن رياضتك يجب أن تكون هى صيد المدن والممالك والقارات . »

هزيمة مارك أنطوني في أكتيوم

انتقل مارك أنطوني وكتيوطرة في نهاية صيف عام ٣٢ ق م من أثينا الى باترا ، وسط نقاطه العسكرية التي يتألف منها معسكره الهائل . ولكن قائد أوكتافيوس ، أجريبا ، لم يضرب ضربه القوية والمفاجئة حتى ربيع العام التالي ، ٣١ ق م . ويلاحظ أن مارك أنطوني كان قائداً معروفاً ومشهوراً له ، خصوصاً في القتال البري ، منذ أيام يوليوس سيزار . وأن أجريبا ، الذي ترك له أوكتافيوس قيادة جيشه الفعلية ، لم يكن بأعتبار تاريخه كفتناً له . ولكنه كان قد اكتسب خبرة واسعة ، خصوصاً في التلاحم البحري ، من قتاله الطويل مع ليبيدس في صقلية .

وفي بداية عام ٣١ ق م ، أخترق الجزء الأكبر من أسطول أجريبا البحر الأيوني ، وأحتل قاعدة مارك أنطوني في ميثون . وكان يقود هذه القاعدة المنيعة ، الملك الموريتاني بوجود . وقد قتل خلال القتال . ثم أخذ أجريبا يهاجم من ميثون نقاط مارك أنطوني البرية والبحرية المتناثرة حوله .

وقد أزعجت ضربات أجريبا ، مارك أنطوني . وتهددت طريق

إمداداته من مصر . حتى شح وصول القمح المصري الى قواته وأصبحت هذه القوات تعتمد فى تمويلها منه على ما تصادره من قمح المزارعين اليونانيين . ويلاحظ أن باتركيوليس ، قد وجد أن استيلاء أجريبا على ميثون ، قد بعث اليأس فى نفوس أنصار مارك أنطوني ، فتركه عدد كبير منهم . وأنضموا الى جيش أوكتافىوس . وكان من هؤلاء حاكم اسبرطة القريبة ، يوريكليس ، الذى كان مارك أنطوني قد أعدم والده قبل هذا بسنوات .

وقد نقل أوكتافىوس الجزء الأكبر من جيشه ، بعد سقوط ميثون ، الى شاطئ البحر الأيوني ، عند كوركيرا ، شمالي قوات مارك أنطوني . وبذلك سيطر أجريبا على نقطتين هامتين . هما ميثون وكوركيرا . وقد تقدم منهما جنوباً ، على البر والبحر ، حتى أصبح على مرمى البصر من أكتيوم .

وقد أضطر تقدم أوكتافيان ، مارك أنطوني وكليوبطرة ، الى نقل معسكرهما الى أكتيوم . ثم تقدم مارك أنطوني شمالاً ، ووقف الى جانب معسكر أوكتافىوس . وقد أرسل مارك أنطوني فرسانه لمحاولة قطع المياه عن قوات أوكتافىوس . ولكن هذه المحاولة لم تنجح . وأصبح واضحاً . أن قوات مارك أنطوني البرية والبحرية ، قد أصبحت محاصرة بين قوات أوكتافىوس البرية الى شمالها ، وسفنه فى البحر . وخليج امبريسيا الى جنوبها . وأخذ أنصاره يتركونه بأعداد أكبر ، وينحازون إلى أوكتافىوس . وكان من هؤلاء أهينو بارباس .

وفى بداية أغسطس عام ٣١ ق م ، أرسل مارك أنطوني قائده ديلوس ، لمحاولة فك الحصار المضروب عليه من الشرق . والوصول بقواته الى مقدونيا . وفى نفس الوقت ، حاول قائده الآخر جايوس سوسياس ، أن يخرج بجزء من أسطوله من خليج امبريسيا الى البحر . ولكن محاولة سوسياس لم تنجح ، وأضطرت سفنه للعودة الى الخليج . ثم أرسل مارك أنطوني بعض فرسانه ، بقيادة الملك أميناس ، لمحاولة فك الحصار البرى المضروب حوله . وكان قد مضى على هذا الحصار زهاء ١٦ اسبوعاً . ولكن أميناس أنضم بجنوده الى قوات أوكثاقيوس . وفى نفس الوقت أعلن حاكما جزيرتى كريت وقبرص تركهما لمارك أنطوني ، وأنضمهما الى أوكثاقيوس .

وقد طالب القائد كانيديس كراسوس ، مارك أنطوني ، بأن يسحب جميع قواته البرية الى مقدونيا . وأن يحاول أن يستدرج الى هناك قوات أوكثاقيوس . وأن يخوض المعركة الفاصلة معها على البر . وأكد له تفوقه الكامل على قوات أوكثاقيوس فى هذا الميدان . وأن سفنه تستطيع أن تغامر بعد ذلك بالخروج الى البحر . وأنه حتى اذا فقدها كلها ، فأن هذا لن يغير شيئاً . لأن المعركة البرية هى التى ستقرر مصير الأمبراطورية . ولكن مارك أنطوني لم يكن يريد ترك سفنه . اذ كانت وسيلته الوحيدة ، مع كليوبطرة ، للانتقال اذا لزم الأمر الى الأسكندرية . ويلاحظ أن مارك أنطوني قد عاد فعمل بعد ذلك ببعض مقترحات كراسوس ، ولكن بعد أن فترت حماسة رجاله ، وهجره الكثيرون . ولم

يشأ أن يصاحب جيشه الى مقدونيا ، وإنما تركه لكراسوس . وفضل مصاحبة سفن كليوپطرة الى الأسكندرية .

ويقال أن خطة مارك أنطوني الأخيرة هذه ، كان ديلوس قد نقلها الى أوكتافىوس . وكان قد هجره اليه قبل أيام من بدء المعركة الفاصلة . وقد اضطّر مارك أنطوني الى إحراق عدد كبير من سفنه ، لعوزه الى المجدفين . وخرج فى فجر ٢ سبتمبر عام ٣١ ق م ، مع ٢٣٠ سفينة . وكانت سفنه تحمل أشرعتها ومن فوقها ٢٠٠٠ جندى . وقد أدى هذا الى ثقل هذه السفن ، وبطء حركتها ، أمام سفن أوكتافىوس الأربعمائة . وكانت العادة أن تبنى منصات مرتفعة فى مقدمة السفن ، يقف من فوقها الرماة . ثم تقترب السفن المهاجمة من سفن أعدائها ، وترميها بسهامها . ويتسلق الجنود سفن العدو ، ومعهم سهامهم ، وسيوفهم ، ويقاتلون أعدائهم فوقها .

وقد تلخصت خطة مارك أنطوني فى محاولة الخروج من خليج امبريسيا ، ثم الانتشار على هيئة مروحة واسعة فى البحر . ثم نشر الأشرعة ، والفرار بأقصى سرعة ناحية الأسكندرية . ولكن أوكتافىوس كان قد علم ، على ما ذكرنا ، من ديلوس ، بتفاصيل تلك الخطة . وقد أعد سفنه لمواجهة سفن مارك أنطوني . فلم يضع عليها أشرعتها الثقيلة . وحملها بعدد أكبر من المجدفين والرماة . فلما خرجت سفن مارك أنطوني من الخليج ، لم يحاول منعها . وإنما نشر سفنه هو الآخر أمامها . وعندما مرت به ، لاحقها ، وبدأ قتالها .

وكان أجربيا على سفينته قد جعل نفسه فى مواجهة سفينة مارك أنطوني ، الذى كان يقود جناح سفنه الأيمن . وجعل أوكتافىوس نفسه فى مواجهة سفن سوسياس ، الذى كان يقود جناحها الأيسر . ولم يكن القلب مزدحماً بالسفن . فلما ألتحمت السفن بعضها ببعض ، أسرع كليوپطرة من الخلف ، مندفعة بسفنها الستين الباقية ، والناشرة أشرعتها ، للفرار الى الأسكندرية .

وأما بقية سفن مارك أنطوني ، فلم تستطع الفرار معه . فأستسلمت لأوكتافىوس فى عرض البحر ، أو فى خليج امبريسيا . بعد أن غرق منها ٤٠ سفينة . ولم يقتل فى هذه المعركة غير ٥٠٠٠ جندي ، أكثرهم من بحارة وجنود مارك أنطوني .

وقد ثارت حول تصرفات كليوپطرة فى معركة أكتيوم كثيرة ، تصور تخليها ، وتخلى سفنها ، عن القتال ، وفرارهم جميعاً من المعركة عند بدايتها الى الأسكندرية . ولكن هكذا كانت الخطة التى وضعها مارك أنطوني بنفسه . وهكذا كان الدور الذى كلفت به كليوپطرة .

ولكن ما يصعب الدفاع عنه حقاً ، هو موقف مارك أنطوني نفسه ، خلال هذه المعركة ، وبعدها . فإنه ترك أكثر جيشه وسفنه ، وذهب يلحق بكليوپطرة .

وقد بلغ ، بعد ثلاثة أيام من تلك المعركة ، النقطة الجنوبية فى جزر البيلوبونيز . وكانت لا تزال بأيدي قواته ومن هناك ، أرسل مارك

أنطوني رسالة الى قائده كانيديس كراسوس . ولم يكن يعلم أن هذا القائد قد حاول الخروج بقواته الى مقدونيا . ولكن لما هاجمه طابور من قوات أوكتافىوس ، فضل رجاله التفاوض معهم . وقد عرض عليهم أوكتافىوس شروطاً حسنة للتسليم . فقبلوها . فقد كان كل ما يريدون هو العودة لأوطانهم ومزارعهم ! .

وقد صور المؤرخون الغربيون أكتيوم على أنها كانت معركة كبرى . حددت سيادة «الغرب» على «الشرق» طوال القرون التالية . مع أن أكتيوم لم تكن معركة كبرى بأى مقياس من المقاييس . وسيادة الغرب على الشرق لم تجئ الا بعدها بقرون كثيرة . حين قامت أوروبا. بنهضتها ، وفتحت عقول أبنائها وبصائرهم ، وأقتحمت عصر العلوم والصناعة . وتخلف الشرق من ورائها .

أما اذا كان القصد ، هو تغلب الرومان على الأغريق . ورفض التحالف الأغريقي الروماني . وأنتهاء دور الاسكندرية ، وتركز الأمور فى روما طوال قرون بعد ذلك . فأن هذا كله صحيح . إذا أستثنينا دور الأمبراطورية البيزنطية الكبير والفعال ، فى مواصلة دفع عجلة الحضارة ، طوال قرون .

دخول أوكتافىوس الاسكندرية

ذهب أوكتافىوس ، بعد أنتصاره فى أكتيوم ، الى أثينا . وحاول أن يستميل اليه اغريقها . ثم عبر الى آسيا الصغرى ، حيث أنفق شتاء عام ٣٠/٣١ ق م . ولكنه سمع بمؤامرة ماركوس ليبيدس الفاشلة للاستحواذ على حكم روما . ومع أن ميسيناس ، نائبه فى روما ، قد قبض على ليبيدس وقتله ، فإن أوكتافىوس أرسل أجريبا اليها للأطمئنان على الأمور هناك . ثم ذهب هو بنفسه ، عندما أخبره أجريبا باستمرار الفتنة . فإن الجنود الرومانيين كانوا يطالبون بتسريحهم ، والوفاء بالوعود التى قطعت لهم لتوطينهم فى أراضي زراعية رومانية . وكانت الحروب الطويلة قد أفسدت اقتصاد روما . ووجد أوكتافىوس أنه فى حاجة ملحة ، لعلاج أزمته ، الى ثروة كليوپطرة الخيالية ، التى لا تفتأ الأقاويل تتحدث بها .

وكان مارك أنطوني قد توقف فى السلوم أياماً . فقد كان يخشى أن يكون جنود أوكتافىوس قد تابعوه فى هروبه . ثم لحق بعد ذلك بكليوپطرة فى العاصمة البطلمية : الأسكندرية . وكان حزناً ومنظوياً

على نفسه . قد لازم بعض أبراج الميناء . ولم يذهب الى القصر .
ويقال أن الاضطرابات قد أستقبلت كليوپطرة عند وصولها الى
الأسكندرية . ولكنها واجهتها بشدة وحزم . يقول ديوه Dio :
« وقد أسرع كليوپطرة الى مصر ، خوف أن يثور رعاياها عندما
يعرفون قبل وصولها اليها أنها قد هزمت في أكتيوم . وقد تظاهرت بأن
النصر كان حليفها . ووضعت أكليله فوق رأسها . وأمرت بنظم الأناشيد
، التي تغنى مع أصوات الأبواق ، في تمجيد انتصاراتها . ولكنها بعد
ذلك ، أمرت بذبح كثيرين من الرجال الذين ظنت أنهم يكرهونها . أو
أنهم قد سروا عندما سمعوا خبر هزيمتها . وأخذت تجمع كل ما تستطيع
من أموال ، متدعة بكل ما تعرف من أساليب ، ومن دون أن تعفي
أحداً ، حتي المعابد ذاتها ، من دفعها . كي تعيد بناء قوتها ، وتشتري
الحلفاء » .

ويقال أن كليوپطرة قد أرسلت أبنها الأكبر بطليموس سيزار الى قفط ،
في صعيد مصر ، ومعه بعض كنوزها . وأمرته بأن يتجه منها الى ميناء
بيرنيس ، على البحر الأحمر . وأن يأخذ طريقه بها الى الهند .
ويقال أيضاً أنها قد نقلت بعض سفنها البحرية الى الطرف الشمالي
للبحر الأحمر ، بنية السفر بها الى «الشرق» . وأنها أخذت تبني بعض
السفن هناك . ولكن عرب تلك المناطق خربوها وأحرقوها ، بتحريض من
هيروود . وقد أنتقمتم منهم كليوپطرة ، بقتل الكثيرين منهم .
وأما أوكثاثيروس ، فقد عاد الى ساموس ، باليونان ، في ربيع عام

٣٠ ق م . ثم ذهب الى جزيرة رودس . وأخذ يستقبل الملوك والحكام الذين جاؤوا يعلنونه بتأييدهم له . وقد زاره حاكم سوريا ، ديدايوس . ثم ملك اليهودية هيرود . وأعترف الأخير له فى صراحة : أنه كان مخلصاً لمارك أنطوني . وأنه سيصبح من الآن مخلصاً له ! .

ويقال أن كليوپطرة قد بكّت عندما سمعت بما قاله الملك اليهودي لأوكتافيوس . وذكرت أنها كانت تريد قتل اليهود جميعاً بيديها ، ولكن مارك أنطوني لم يستمع اليها ! .

وفى الصيف ، هبط أوكتافيوس على السواحل السورية . ويقال أن كليوپطرة قد أرسلت له وهو هناك ثلاث مرات ، تطلب الاتفاق معه . وقد أهدته فى المرة الأولى شعار بلاطها البطلمى «التمساح» . وأهدت استعدادها للتنازل عن عرشها لأبنائها . وقد احتفظ أوكتافيوس بالشعار . ولم يعد رسولها بشيء .

وفى المرة الثانية ، أرسلت ابن مارك أنطوني ، أنتيلاس . وكان ، كما ذكرنا ، خطيب أبنته السابق . فقدم له مبلغاً كبيراً من المال . وأعلنه أن والده يريد إعزال الحياة العامة . ولكن أوكتافيوس لم يعقب على كلماته بشئ .

وفى المرة الثالثة ، أرسلت كليوپطرة معلم أولادها يوفرونيوس مع قدر كبير من المال . وقد طلب اليه أن يتولى حكم مصر أحد أبناء كليوپطرة . ولكن أوكتافيوس احتفظ بالمال ، ولم يرد على رسول كليوپطرة بكلمة واحدة ! .

ثم هاجم قائد أوكتافيرس جالاس ، السلوم . وذهب مارك أنطوني الى هناك بأربعين سفينة ، لصدّه عنها . ولكنه خسر السفن الى جانب المدينة . وعاد مهموماً الى الأسكندرية .

وأخذ أوكتافيرس ، ومعه هيزود ، يتقدم من حدود مصر الشرقية عبر الدلتا . وعندما عجز القائد البطلمي سيليكوس عن صدّه ، قتلت كليوبطيرة زوجته وأبناءه فى الاسكندرية !

ويقال أن كليوبطيرة ، لما وجدت أوكتافيرس يتقدم الى أبواب عاصمتها ، أخفت «كنزها» فى ميزوليم الأسكندرية . يقول بلوتارخ :

« وكانت كليوبطيرة قد أقامت لنفسها عدداً من التماثيل والتواييت الجميلة ، الى جانب معبد إيزيس . وقد جمعت الى جانبها ، أثمن ما تملكه من ذهب وفضة ، وجواهر ولاكي ، وعاج وسن الفيل ، وكمون . ووضعت الى جانبها أخشاباً كثيرة . وقد قلق أوكتافيرس عندما سمع بما فعلت . وكان كلما قرب من الأسكندرية ، أرسل اليها الرسل ، الذين يدون لها فيته فى معاملتها بالحسنى والرفق ، لأنه كان يخشى أن تأمر كليوبطيرة فى ثورتها بحرق تلك الثروة العظيمة » .

وعندما بلغ جيش أوكتافيرس أطراف الأسكندرية الشرقية ، ثم عسكر فى إستادها ، هاجم مارك أنطوني وبعض فرسانه جنوده المتقدمين ، وأجأهم الى الفرار . يقول بلوتارخ :

« ثم عاد مارك أنطوني الى المدينة ، وقد أستشعر الفخار . فأخذ يسير فى شوارعها فى خيلاء . ودخل القصر ، فعانق كليوبطيرة ، وهو بكامل

أدركته . وقدم لها أحد فرسانه ، الذين أبلوا ، كما قال ، بلاء حسناً في القتال . وقد أعطته كليبطرة هدية ثمينة . ولكن في المساء ، ترك الفارس معسكر مارك أنطوني إلى المعسكر المضاد .

ويقال أن كليبطرة قد حاولت أن ترشي بعض جنود أوكتافوس . ولكنها لم تنجح ألا في إشعال طمعهم في ثروتها . وأن مارك أنطوني قد عرض على أوكتافوس أن ينازله ، بالسلاح الذي يختاره . ولكن هذا رد عليه : أن هناك طرقاً كثيرة أخرى ، تستطيع أن تتخلص بها من حياتك !

وفي ليلة أول أغسطس عام ٣٠ ق م ، دارت في المدينة اشاعة كبرى: إن الآله دايونيساس قد بارحها . ودايونيساس كان ، كما ذكرنا آله الأسكندرية . وكان الاعتقاد السائد في العالم القديم ، هو أن آلهة المدن تتركها قبل سقوطها !

يقول بلوتارخ :

« وفي حوالي منتصف الليل ، عندما سكنت الضوضاء ، وانتشر في المدينة الشعور بقرب حلول الساعة . فجأة ، ارتفع صوت موسيقى وترانيم جميلة ، تصدر عن آلات سماوية وأصوات مبدعة ، آلهية . وكأن أجساداً ملائكية قد تركت أبواب المدينة ، وهي تهتف وتغنى ، قاصدة معسكر الأعداء . ثم انتهت هذه الأصوات في داخل معسكرهم . »

وفي الصباح التالي ، خرج أسطول مارك أنطوني لملاقاة أسطول أوكتافوس . ولكنه أستسلم له من دون قتال !

وكذلك فعل فرسان مارك أنطوني عندما خرجوا لقتال جنوده ! .
ثم سارع بقية الرماة والجنود الى الهرب الى كل مكان ! .
وقيل أن مارك أنطوني ، عندما رأى حاله ، قد جلس يبكي . وأنه
أخذ ، ولأول مرة ، يلوم كليبوظرة ، ويتهمها بخيانتة ! .

إنتحار مارك أنطوني

عندما دخل جيش أوكتافوس الأسكندرية ، هربت كليوباترة الى داخل الموزيليم ، وأغلقت أبوابه ونوافذه . وتحصنت فى داخله مع كئوزها . وكان معها مصفنة شعرها ابراس . ووصيفتها شارميون . وأحد خصي القصر المقربين اليها .

وكانت قد أرسلت لمارك أنطوني من يبلغه بأنتحارها . وقيل أنها قد فعلت هذا وهى بنية الأنتحار فعلاً . فأمر مارك أنطوني خادمه إبروس بأن يقتله بسيفه . ولكن الخادم طعن نفسه بسيف مارك أنطوني ، مفضلاً الموت على قتل سيده . فأخذ مارك أنطوني سيفاً آخر ، وطعن به نفسه .

وبينما هو يحتضر ، جاء سكرتير كليوباترة ، ديوميدس ، كى يخبره بأنها لا تزال حية . وأنها تريده أن يحضر اليها . وقد حمله خادمان الى خارج الموزيليم . ولكن الأبواب كانت مغلقة . فأنزلت كليوباترة ، ووصيفتها شارميون ، حبلاً ، وربطتا جسد مارك أنطوني بها . ثم رفعته خلال نافذة بالدور العلوي ، وأدخلته الى داخل الموزيليم . يقول بلوتارخ :

» وعندما نجحت الملكة ووصيفتها ، ببالغ الصعوبة ، في رفع مارك أنطوني اليهما ، طلب مارك أنطوني قدحاً من النبيذ ثم رجا كليوپطرة ألا تلومه علي سوء طالعها ، الذي أودى به في النهاية وأن تعده سعيداً ، لأنه قد حقق الانتصارات التي تحدث بها العالم وأن تذكر أنه قد توصل للقوة والشهرة اللتين لم يحققهما انسان آخر ولهذا فليس من العار أن يموت كروماني وقد قهره روماني آخر ،

وعندما مات مارك أنطوني ، ذهب أحد خدم أوكتافىوس فزف له الخبر وحمل له السيف الذي قتل به مارك أنطوني نفسه فأرسل أوكتافىوس من فورهِ قائده جايوس بركيوليس ، كى يظفر بكليوپطرة حية ويمنعها من إتلاف كنوزها وقد ذهب بركيوليس اليها فى الموزيليم فوجد أبوابه ونوافذه مغلقة . ولكنه ناداها وقد فتحت له إحدى النوافذ ، وتحدثت اليه فنقل لها وعد أوكتافىوس ، بأن يعاملها بالرحمة والأحسان ، ولكنها لم تطمئن لكلماته

وكان بركيوليس قد لاحظ النافذة المفتوحة بالطابق العلوي ، والتي أدخلت منها كليوپطرة جسد مارك أنطوني فذهب بركيوليس ليستشير أوكتافىوس ثم عاد ومعه قائد روماني آخر ، هو كورنيليس جالاس وقد أخذ جالاس يحدثها بينما تسلق بركيوليس معه جنديان آخران المبنى ، ودخلا خلال النافذة المفتوحة ثم هبطا سلاله الى الحجرة التي تتحدث منها كليوپطرة الى جالاس ، فقبضوا عليها وكان معها خنجر ، منعها بركيوليس عن إستخدامه وأخذوها أسيرة

رقد مرضت كليوپطرة بعد القبض عليها وأمر أوكتافيوس بنقلها الى القصر البطلمي . وذكر بعض المؤرخين أن أوكتافيوس كان يريد الأبقاء على حياتها ، كى تشارك فى موكب نصره فى روما . ولكن هذا مشكوك فيه لأن الرومانيين جميعاً كانوا يعلمون ، أن شقيقتها أرسينوه ، قد أستدرت عطف الرومانيين البالغ عليها ، عندما سارت فى موكب يوليوس سيزار قبل هذا بستة عشر عاماً . حتى لم يستطيع يوليوس سيزار بعد ذلك أن يقتلها . ولهذا ، يكاد يجمع المؤرخون على أن أوكتافيوس ، بما عرف عنه من دهاء ، وحكمة وبصيرة ، قد أراد كليوپطرة أن تقتل نفسها بنفسها . فتخلصه من مهمة الأمر بأعدامها . ولهذا أرسل لها دولابلا ، كى ينقل اليها نية أوكتافيوس نقلها مع أولادها ، بعد ذلك بثلاثة أيام ، الى روما . كى يشتركوا جميعاً فى موكبه هناك . وهو يعلم أنه يدفعها بذلك الخبر الى قتل نفسها ! . ويقال أيضاً ، أن أوكتافيوس ، قد أمر حارسها ، ايبافروديتس ، أن يغمض عينيه ، اذا ما رآها تحاول قتل نفسها ! .

* * *

وقد أرسلت كليوپطرة ، فى ١٢ أغسطس عام ٣٠ ق م ، خطاباً مغلقاً الى أوكتافيوس . فلما فتحه ، وجدها توصيه ، اذا ما ماتت ، أن تدفن الى جوار مارك أنطوني . وطبيعي أن يقلق أوكتافيوس من خطاب كليوپطرة المغلق اليه . وأن يرسل لها رجاله للأطمئنان على حالها . ولكن رجال أوكتافيوس وجدوها «مستلقية ، تحتضر ، على كنبه ذهبية ، وهى

بكامل ملابسها الأمبراطورية» . وعند قدميها مصفوفة شعرها إبراس ،
التي كانت قد ماتت . بينما وصيفتها شارميون ، تحتضر ، وهى تحاول
أن تضع تاج كليوپطرة على رأس سيدتها .

وقد صاح رجال أوكثافيوس فى شارميون : أهذا الذى فعلته طيب ؟
. فأجابتهم : إنه طيب تماماً ! . وأكملت كليوپطرة كلمات وصيفتها ،
فتمتعت : ويليق بملكة ، تنحدر عن صلب كل هؤلاء الملوك ! .

وقد أمر أوكثافيوس بأن تدفن كليوپطرة كملكة ، الى جوار مارك
أنطوني ، كما أرادت . وعند قدميها دفن جثمانى إبراس وشارميون .
ولا يوقن أحد الى الآن ، من الطريقة التى قتلت بها كليوپطرة نفسها .
فان سترابو يذكر سببين مختلفين لموتها . الأول هو عضه الحية . والثاني
هو إستخدامها لدهان سام .

وبلاحظ بلوتارخ ، أنه لم يكن فى جسم كليوپطرة أية جروح ، غير
خدشات بسيطة على ذراعها . كما أن الحية المزعومة هى عند فرجيل ،
اثنتان . وعند هوراس ، عدة حيات ! .

ويقول جالينوس ، بعد ذلك بقرنين من الزمان ، أن كليوپطرة قد
خدشت جلدها . ثم وضعت الحية فى الخدش . ويذكر بلوتارخ ، أن
كليوپطرة كانت تحمل سم الحية معها داخل تجويف فى مشط شعرها .

ويؤكد بلوتارخ نظرية الحية ، حين يقول أنها قد أدخلت إليها وسط
سلة تين ، أو داخل دورق ماء ، أو فى وسط باقة من الزهور .

وقد كان بالأسكندرية زمن كليوپطرة ، مدرسة طبية متقدمة ، على

رأسها الطبيب الذائع الصيت أوليمبس Olympus . وكانت هذه المدرسة خبيرة بالسموم . حتى قيل أن بعض من كان يُحكم بأعدامهم فى الاسكندرية ، كانوا يقتلون ، رحمة بهم ، بالسم . وليس بالشنق ، أو قطع الرأس .

على أن مما يضيف لاسطورة سم الحية بعداً آخر ، هو أن الحية كانت تمثل الخلود عند قدماء المصريين . وكانت تحمى الملوك الفراعنة . وتهدد أعداءهم . وكان لها مغزى هام فى حياة الربة إيزيس بالذات ، التى اختارتها كليوپطرة كى تتقمص صورها . فإن الحية ، أو الكوبرا المصرية ، البنية أو السوداء اللون ، والتى عاشت فى برارى الدلتا منذ آلاف السنين ، تقترب صورتها دائماً بصورة هذه الربة المصرية القديمة إيزيس . وتزين رأس جميع تماثيلها .

فهل قامت أسطورة موت كليوپطرة بالحية ، بعد وفاتها ، لاقتربان صورتها وحياتها ، بصورة الربة إيزيس ؟ .

الأسكندرية بعد حكم البطالمة

ألقى أوكتافىوس ، عقب دخوله الأسكندرية ، خطاباً فى إستاد المدينة. وعد فيه السكندريين بأن يكون متسامحاً معهم ، بسبب تاريخ وعظمة مدينتهم ، وحقيقة أن الأسكندر الأكبر هو باني تلك العاصمة الكبرى . وقد زار أوكتافىوس قبر الأسكندر . ويقال أنه قد أخطأ ، فكسر جزءاً من أنف تابوته . ولكنه لم يزر المعابد المصرية القديمة . ولم يزر قبور الملوك البطالمة :

ويلاحظ أن أوكتافىوس قد حطم عند دخوله الأسكندرية جميع تماثيل ونقوش مارك أنطوني فيها . ولكنه لم يمس تماثيل ونقوش كليوباترة . بعد أن دفع له أنصارها من الأغريق السكندريين ٢٠٠٠ تالنتس ، كى يترك تماثيلها قائمة : .

وقد حاكم أوكتافىوس ، وقتل ، بعض معاوني كليوباترة . وأمر بقتل ابنها بطليموس سيزار . والأبن الأكبر لمارك أنطوني وفولفيا : أنتيولوس . وكان خطيب ابنته على ما ذكرنا .

وكان الأول قد عاد الى الأسكندرية ، بعد هروبه فى الصعيد . وقد أفاد عنه مدرسة : رودون . وخان الثاني أيضاً مدرسه ثيودورس . والجدير بالذكر أن ثيودورس قد اتهم بعد ذلك بسرقة لؤلؤة كان يحملها

أنطونيوس. فقتل بعده بقليل .

وواضح أن أوكتافوس قد حاول أن يتخلص من منافسيه في المستقبل ، بما فعل . فلم يقتل أحداً آخر من أبناء كليوبطرة ومارك أنطوني . وإنما سار ثلاثتهم في موكب نصره في روما . ثم تزوجت كليوبطرة سيلين من ملك موريثانيا : جوما الثاني في عام ٢٥ ق م . وعاشت معه في موريثانيا . وعاش معها هناك أيضاً ، على ما يقال ، أخاها الكسندر هليوس وبطليموس فيلادلفوس . ولم يسمع عنهم بعد ذلك شيئاً .

وأما أوكتافوس ، فقد حكم روما بعد أكتيوم طوال ٤٥ عاماً . وكان من أعظم القياصرة الرومانيين ، ان لم يكن أعظمهم . وقد تسمى بأسم أوغسطس ، تيمناً بدخوله الأسكندرية في أول شهر أغسطس . ولانتصاراته الكثيرة التي تمت خلال ذلك الشهر .

وقد ضم أوكتافوس مصر بصورة كاملة للإمبراطورية الرومانية . وأنهى عهد البطالة فيها ، بعد أن أستمزها ٣٠٠ عام . ولكن أوكتافوس لم يعين على الأسكندرية حاكماً من أعضاء السينات الروماني ، على ما كان يفعل مع الأقاليم الرومانية الأخرى . وإنما خصها ، هي وحدها ، ببرفكتس Prefectus أو مبعوث خاص للقيصر . وتحت حكمه المباشر . وكان أول من اختاره أوكتافوس لحكم الأسكندرية القائد العسكري كورنيليس جالاس . وقد أستمز هذا الوضع

حتى زمن القيصر ماكرينوس فى عام ٢١٧ م ، حين هبط شأن مصر ،
وتساوت فى الأهمية بالأقاليم الرومانية الأخرى . وأصبح يعين حكمها
عضو سينات روماني . كذلك عين أوكتافيوس بسينامون كاهناً أعظم
للديانة المصرية فى منف .

وقد قام فى صعيد مصر ، عقب تسلم جالاس شئون الحكم ، ثورة ضد
الرومان . أخذها ذلك القائد العسكري بحزم وقسوة . ومد عقبها حكمه
حتى ما بعد الجنود الأول . ونشر النفوذ الروماني فوق الدولة النوبية
إلى جنوبه . ولكن جالاس أستدعى فى عام ٢٦ ق م إلى روما ، وحقق
معه ، ثم أضطر للأنتحار .

وقد أحتفظ أغريق مصر ، تحت حكم الرومان ، بجميع مظاهر
معيشتهم وإميازتهم . فأستمرروا فى استخدام اللغة اليونانية لغة رسمية
فى البلاد . وكانت للأسكندرية على الدوام علاقاتها الخاصة والمستقلة .
واستمرت المدن الأغريقية الأخرى فيها . ولكن مجالس الشورى فى هذه
المدن توقفت . وأعترف الرومان لليهود الأسكندرية بعد ذلك بحقوق مماثلة
لحقوق الأغريق .

وقد أدى هذا الاعتراف الى شقاق وتنازع ، بين الأغريق واليهود .
وقف منه الرومان موقف المراقب فى البداية . ثم إنخازوا تدريجياً إلى
صف الأغريق ، وحاربوا معاً اليهود فى مصر ثم فى بعض أنحاء
الإمبراطورية الرومانية .

تواريخ فى حياة كليوپطرة

قبل الميلاد	
٦٩/٧.	ولادة كليوپطرة .
٥٨	طرد بطليموس أوليتس وابنته كليوپطرة من الأسكندرية .
٥١	وفاة بطليموس أوليتس ، وولاية كليوپطرة وأخيها بطليموس الثالث عشر عرش الأسكندرية .
٤٨/٩	هرب كليوپطرة الى صعيد مصر، ثم الى حدودها الشرقية. ووصول يوليوس سيزار إلى مصر .
٤٧	ولاية كليوپطرة و بطليموس الرابع عشر عرش الاسكندرية . وولادة بطليموس سيزار .
٤٦	زيارة كليوپطرة ليوليوس سيزار .
٤٤	اغتيال يوليوس سيزار . و وفاة بطليموس الرابع عشر . وبداية حكم بطليموس سيزار مع والدته .
٤١/٢	مارك أنطوني ينتصر فى فيليبيا ، ويستدعى كليوپطرة الى طرسوس .
٤٠	هجوم البارثيين على آسيا الصغرى وسوريا . وانتقال فولفيا ولوشيسوس انطونيوس الفاشل ضد أوكتافيوس . ثم

- زواج مارك أنطوني بأوكتافيا . وولادة توأمي كليوبطيرة
من مارك أنطوني .
- ٣٧ مارك أنطوني يعيد أوكتافيا الى روما ، ويجتمع
بكليوبطيرة في انطاكية ، ثم يضم لمملكته أراضي واسعة .
- ٣٦ فشل حملة مارك أنطوني على ميديا ، وولادة بطليموس
فيلاذلفوس .
- ٣٤ نجاح حملة مارك أنطوني على أرمينيا ، وإعلان «وصية
الأسكندرية» .
- ٣٢/٣ اشتعال الخلاف بين مارك أنطوني وأوكتافيوس . ومارك
أنطوني وكليوبطيرة يمضيان الشتاء في إيفسوس . وطلاق
مارك أنطوني وأوكتافيا .
- ٣١ أجربيا يحتل ميثون . واحتدام معركة أكتيوم ، ثم هروب
مارك أنطوني وكليوبطيرة الى الأسكندرية .
- ٣٠ دخول أوكتافيوس الأسكندرية ، وأنتحار مارك أنطوني ثم
كليوبطيرة . وإعدام بطليموس سيزار وأنتيوس .

أسطورة كليوباترة

يقال أنه عندما وصلت أخبار إنتحار كليوباترة ، ووقع كنزها الشهير فى أيدي أوكتافىوس ، الى روما ، أن سعر الفائزة فيها قد هبط من ١٢ الى ٤ بالمائة .

ويلاحظ أن الرومانيين ، فى غلوأنهم وكبريائهم ، قد كرهوا كليوباترة كرهاً شديداً . فنددوا بشخصها ، وديانتها ، وعاداتها ، وبلاطها . وحاكوا الأساطير حول غوايتها ليوليوس سيزار ثم لمارك أنطوني . وقالوا أنها قد ربطتهما ، واحداً بعد الآخر بخيوط من ذهب . وأنها كانت عاهرة لم تعرف الحب . وإنما كانت تسيرها طموحاتها السياسية . والرغبة فى القضاء على الامبراطورية ، وإبقاء زعامة العالم القديم فى الاسكندرية . ولكن كراهة الرومانيين لها تراجعت ، وتنديدهم بها توقف ، حين قتلت كليوباترة نفسها . فأخذوا يشيدون بعظمتها . على ما يقول

هوراس فى نشيده الذى نقتطع منه هذه السطور :

« ولكنها فضلت أسلوباً آخر فى قتل نفسها

فإنها لم تهرب من الخنجر كامرأة

أو تسرع مختفية الى البحر

تبحث بدلاً من مصر، عن عوالم أخرى مجهولة .

« ولكنها رنت الى قصرها المهجور
 بأبتسامة هادئة ، ويد غير مرتعشة
 بينما الحية ثائرة ، حتى
 تشبعت دمانها من سمها المميت .
 « ومع تصميمها على الموت ،
 وأقدامها عليه أكثر من ذى قبل
 انتهت . فهل كانت تحتفل بنصر عظيم ؟
 بعد أن خلعت عن العرش . وأراد الليبرثيون الوقحاء
 أن تسير فى موكب النصر .
 لا ، ليس كليوپطرة » .

ويلاحظ أن تمثال كليوپطرة فى معبد ثينوس بروما ، الذى كان
 يوليوس سيزار قد أقامه لها ، لم يتحرك من مكانه فى ذلك المعبد . وأنه
 قد بقي ، والى جانب تمثيلها الكثيرة فى الأسكندرية ، حتى القرن
 الثالث الميلادى .

وقد بدأت حملة الكراهية ضد كليوپطرة على أيدي المؤرخين
 الرومانيين ، الذين كرهوها فى حياتها ، كما بينا ، كراهة عمياء .
 وكرهوا تعلق يوليوس سيزار ، ثم مارك أنطوني ، بها . ولكن ، إذا
 كانت كراهة هؤلاء المؤرخين ، قد خفت بعد وفاتها ، فإن كراهة المؤرخين
 اليهود لها ، الذين ظنوها قد طمعت فى حكم بلادهم وشعبهم ، قد

أستمرت ، بعد وفاتها .

فأن المؤرخ الروماني ليثى Livy (٥٩ ق م / ١٧م) الذى عاصر
كليوپطرة ، وكان قد أنحاز الى أوكتافىوس ، قد كره مارك أنطوني
كراهة شديدة . وتاريخه «الفخم» الذى وضعه فى ١٤٢ مجلداً لهذه
الفترة ، ينضح بكرهه لها . ولهذا السبب أيضاً ، تعوزه الدقة
التاريخية .

وقد عادى ليثى كليوپطرة مثلما عادى مارك أنطوني . وأسمى الأخير
بعُدو الشعب . ولكنه خفف من كراهيته لكليوپطرة بعد معركة أكتيوم ،
ثم انتحارها .

وقد جاء بعد ليثى ، مؤرخ روماني آخر هو باتركيولس Paternulus
مال هو أيضاً فى تاريخه ، الذى كتبه خوالى عام ٣٠ م ، الى أوكتافىوس
وقسا فى هذا التاريخ ، قسوة شديدة ، على مارك أنطوني وكليوپطرة .
وأعتبر باتركيولس كليوپطرة عاهرة ، نجحت فى اغواء يوليوس سيزار ،
ثم مارك أنطوني . ثم خانت الأخير فى معركة أكتيوم . ولكنه وصف
نهايتها بالشجاعة . وقال أنها قد ماتت ميتة الرجال .

وأما القائد والمؤرخ اليهودي ثلاقيوس جوزيفوس Josephus
(٩٥/٣٧) فقد اعتمد فى تاريخه للحروب اليهودية إعتماً مباشراً
على مذكرات هيرود ، وقائد ذلك الحاكم ومستشاره نيكلاوس . وكان
نيكلاوس قد عمل مدرساً لأبناء كليوپطرة ، قبل أن ينتقل لخدمة هيرود .
وقد أتينا فيما سبق على بعض ما ذكره هيرود ونيكلاوس ، ونقله

عنهما جوزيفوس . وكل ما نستطيع أن نقول هو أن كراهِيتهم جميعاً
لكليوپطرة كانت واضحة . وأن كتاباتهم عنها لم تكن موضوعية .

ويلاحظ أن أول من وقف للدفاع عن كليوپطرة ، بعد وفاتها بحوالي
٦٠ عاماً ، كان هو اللغوي السكندري أبيون Apion . وربما لم تمت قط
ذكرى كليوپطرة الطيبة بين الاغريق السكندريين . ولكن أبيون كان أول
من عبر عن هذه العواطف فى صراحة وشجاعة وعلانية .

ثم جاء بلوتارخ Plutarch (٤٦/١٢٠) فكتب سيرة حياة مارك
أنطوني ، وأنصفه . وأنصف معه كليوپطرة . ولم تعز المهارة بلوتارخ .
ولكن ما أعوزه حقاً هو الدقة . فإنه عاش طول حياته فى معبد أبوللو فى
كيرونيانكسيس . وإن قيل أنه زار الأسكندرية زيارة قصيرة . ولهذا فقد
أعتمد فى سرده على الروايات التى نقلها جده لامبرياس . الى جانب
خياله الواسع أحياناً . وكان جده قد سمع رواياته عن طبيب سكندري
عاصر كليوپطرة ، هو فيلوتاس .

وقد عطف المؤرخ الروماني تاسيتس (٥٥/١١٧) على قضية مارك
أنطوني وكليوپطرة . وحاول أن ينصفهما . وأن يبحث عن أسباب ونتائج
أعمالهما ، فى كتابة تاريخه منذ الأعوام ٦٩ ق م . ثم فى دهرياته حتى
موت أوجسطس فى عام ٦٩ .

ثم جاء المؤرخ السكندري أبيان Appian (١٣٨/١٦١) الذى كتب
تاريخه الروماني فى روما بالأغريقية . فعزى ضياع مارك أنطوني الى
مهارة كليوپطرة ، ونجاحها فى خداعه .

وجاء المؤرخ الاغريقى ديوه Dio (٢٣٥/١٦٣) الذى أصبح سيناتوراً
وقنصلاً فى روما . فكتب تاريخه الرومانى فى ٨٠ جزءاً . معتمداً على
ليقي . وسائراً على نحوه فى القسوة على مارك أنطونى وكليوبطرة .
وبلاحظ أن الشرقيين عامة ، قد أخذوا يجلون كليوبطرة فى القرون
الأولى للمسيحية . وأن الملكة زنوبيا (٢٧٣/١٦٩) ملكة بالميرا (تدمر)
التي أحتلت مصر فى ٢٧٠/٩٠ م ، كانت قد زعمت أنها من نسل
كليوبطرة . وأن الأسقف جون ، فى القرن السابع الميلادى ، قد اعتبرها
أعظم الملكات .

وكان أول من قارن كليوبطرة بالربة الأغريقية هيلين تروي ، هو
الشاعر الرومانى لوكان (٦٥/٣٩) . وهيلين تروي هى المرأة التى تزوجت
مينيلاوس ، وأختطفها بارس ، وتسببت فى قيام حرب تروي الشهيرة .
وقد أخذ التشبيه عن لوكان : دانتيه Dante* (١٣٢١/١٢٦٥) . فوضع
كليوبطرة فى الدائرة الثانية من جحيمه . مع هيلين تروي وسميراميس
وديدوه .

ولكن من الظلم لكليوبطرة أن تتهم بالشذوذ أو الشهوانية . أو حتى
المهر . فأنها لم تعرف ، كما يؤكد المؤرخون ، غير رجلين فى حياتها .
الأول هو يوليوس سيزار . والثانى هو مارك أنطونى . وكلاهما كان
يفرقها خبرة وتجربة فى هذه الأمور . وكلاهما عرف عدداً كبيراً من

*

أنظر كتابنا « الريناس » فى هذه السلسلة .

النساء . وقد قيل أن مارك أنطوني كان يشبه نفسه ، فى قوته ورغبته فى الجنس ، بالآله الأغرقي الروماني هرقل . وأنه كان يستطيع الحديث المكشوف والنكات الجنسية ! .

وقد عدد بعض النقاد ، أكثر من ٧٧ مسرحية و ٤٥ أوبرا و ٥ باليهات عن كليوبطرة بين الأعوام ١٥٤٠ و ١٩٠٥ . وقد جاء بعد ١٩٠٥ غيرها . وكان أول من كتب عنها درامة بالفرنسية : إيتين يوديل Jodeli فى عام ١٥٥٢ . وقد نقلت الكونتيسة مبروك تلك الدرامة الى الأنجليزية ، ومثلت على مسارح إنجلترا فى عام ١٥٩٢ .

كذلك ترجم چاك أميو Amyot كتاب بلوتارخ عن مارك أنطوني الى الفرنسية فى عام ١٥٥٩ . وترجمه الى الأنجليزية فى عام ١٥٩٢ سير توماس نورث . وقد ظهرت فى إنجلترا بعد عامين من تلك الترجمة ، أى فى عام ١٥٩٤ ، تراجيديا شعرية بقلم صموئيل دانييل Daniel تناولت حياة كليوبطرة بعد وفاة مارك أنطوني .

وأما مسرحية شكسبير Shakespeare « أنطوني وكليوبطرة » فقد ظهرت فى عامى ١٦٠٧/٦ ، معتمدة على ترجمة نورث لكتاب بلوتارخ . ولكن شكسبير لم يلتفت كثيراً للنواحي السياسية التى حركت بطليه . وحصر همه فى تصوير حبهما وتضحياتهما . وقد جعل من كليوبطرة امرأة قوية ، وأنانية ، وشديدة الغيرة . وظنها قد خانت مارك أنطوني فى معركة أكتيوم ، وهربت بسفنها الى الأسكندرية .

وجدير بالذكر ، أن درامة دريدن Dryden «كلهم للحب» التى ظهرت فى انجلترا فى عام ١٦٧٨ فى نفس الموضوع ، كانت أوسع شهرة فى تلك الأيام من مسرحية شكسبير . وقد تناولت الأيام الأخيرة من حياة مارك أنطوني وكليوبطرة . ولكن شهرتها لم تستمر بعد ذلك . وأخلت الطريق لمسرحية شكسبير .

وقد اعتمدت مسرحية جورج برنارد شو Shaw* «سيزار وكليوبطرة» التى نشرها فى عام ١٩٠٦ أيضاً على ترجمة بلوتارخ . وصرر شو فى مسرحيته يوليوس سيزار رجلاً عاقلاً ، ومتزناً ، وفى خريف حياته ، وجعل منه ألعوبة بين يدي كليوبطرة . وصور كليوبطرة امرأة لاهية ، تكره الرومان ، وتريد إستعادة مجد الأغريق البطالمة .

هل كانت كليوبطرة ملكة مصرية أم عاهرة أغريقية ؟ .
اننا نعتبر كليوبطرة كما بينا ملكة بطلمية ، أو أغريقية . ولا نعتبرها مصرية . والا أعتبرنا القرطاجيين ، الذين سبقوها بعض الشئ تونسيين ، والفرنسيين ، حين أحتلوا الجزائر فى القرن الماضي وبعض القرن الحالى ، جزائريين .

ولكننا لا نراها عاهرة . من حيث أنها لم تبع جسدها - رغم أطماعها السياسية - لعدد كبير من الرجال . ولم تعرف فى حياتها غير يوليوس

أنظر كتابنا « شو » فى هذه السلسلة .

سيزار ومارك أنطونى . ومن حيث أن زواجها بهما كان تاماً ، الا من عقد الزواج .

ومع ذلك ، فقد يرى البعض أنها قد أستغلت جسدها فى سبيل تحقيق أغراضها السياسية . ومن دون أن تتبع أهواء قلبها . وأن هذا هو سلوك العاهرات . ولكننا نتساءل : كم من النساء ، فى كل زمان ومكان يتبعن أهواء قلوبهن ، وليس أغراضهن فى إختيار من يشاركن حياتهن ؟!

الفهرس

الصفحة

٥	قواد الأسكندر يتقاسمون امبراطوريته
١٤	التدخل الروماني فى شئون البطالة
١٩	الرومانيون يساندون بطليموس أوليتس
٢٤	ولاية كليوبطرة عرش مصر
٣٢	الخلافا بين كليوبطرة وشقيقها
٤٨	طلاق كليوبطرة و بطليموس الثالث عشر
٥٣	غرام يوليوس سيزار بكليوبطرة
٦٠	إغتيال يوليوس سيزار
٦٥	الصراع بين خلفاء يوليوس سيزار
٧٠	سيادة مارك أنطوني على الامبراطورية الشرقية
٧٤	أجتماع كليوبطرة ومارك أنطوني فى طرطوس
٧٨	ولادة توأمي كليوبطرة من مارك أنطوني
٨٣	أنفصال مارك أنطوني وأوكتافيا
٨٧	هزيمة مارك أنطوني أمام الميديين والأرمنيين
٩١	لقاء كليوبطرة وهيرود
٩٧	كليوبطرة ملكة الملوك
١٠١	مارك أنطوني يخسر تعاطف الرومانيين
١٠٦	أخطاء مارك أنطوني فى أكتيوم

- ١١٢ هزيمة مارك أنطوني في أكتيوم
- ١١٨ دخول أوكتافيوس الأسكندرية
- ١٢٤ إنتحار مارك أنطوني
- ١٢٩ الأسكندرية بعد حكم البطالمة
- ١٣٢ تواريخ في حياة كليوباترة
- ١٣٤ أسطورة كليوباترة

سلسلة «أعلام ومشاهير» بإشراف الدكتور رؤوف سلامة موسى

ماركس	د.هـ. لورانس	عبد الرحمن شكري
مكيافيلي	فرجينيا وولف	زكي أبو شادي
جيفرسون	فولتير	ناجبي
واشنطن	روسو	طه حسين
أتاتورك	إيسن	على عبد الرازق
نابليون	ديكنز	زكي مبارك
هتلر	چوپس	مسي
چنكيز خان	شور	جبران
هنري الثامن	صائد	شكسبير
لورانس العرب	جوته	دمتوفسكي
كلير بطريرك	داروين	هوجو
روكسيلانا	فرويد	اوسكار وايلد
السلطانة الفرنسية	الرينسانس	نيتشه
مدام دييه برمادور	الثورة الاصلاحية الانجليزية	ويلز
راسبولين	ثورة التحرير الأمريكية	همنجواي
كولمبوس	الثورة الفرنسية	بروست
دافنشي	الثورة الروسية الكبرى	سارتر
جان جوخ	ديكارت	أورويل
بيكاسو	شوبنهور	كامي
تولوز لوتريه	هيجل	تولستوي
رامبرانت	كانت	بودلير
ماتيس		

وجه الخلاف : موت كيوبطره لاجماتشي
ظهور الخلاف : لقاء أنطوني وكيوبطره لاجماتشي



المقبل بالبحار والاركان
رؤسها لعاف ببيروت

21

0222415

